



ردمك: ISSN: 2382 - 2902

العدد 102 - السنة 4 - 10 /23 جمادى الأولى 1437 - 19 فيفري / 3 مارس 2016

الوحدة والاختلاف في نهج التفاهم القرآني

(د.احميده النيفر)

الأولى

قراءة في «الشأن الليبي»...السّلام المؤجّل

(م. فيصل العش)

في الصميم

المنظومة الأخلاقية ..الحلقة المفقودة في رحلة البحث عن الحلول

(بشير ذياب)

محراب الإبداع

عواصف الوجع ... أن تكتب أو تموت

(بلقاسم الجدي)



كتاب الإصلاح (11): «قراءة نقديّة لمقولات سلفيّة»

(محمّد بوقرين)

توزع مجانا عبر البريد الالكتروني




المحتويات



الافتتاحيّة

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء/ 70

«إبن آدم/الإنسان» الذي كرمه الله سبحانه وتعالى هو الطرف الرئيسي في النص القرآني المؤسّس لحضارة المسلمين بما هي حضارة للإنسانية جمعاء تقوم على احترام التعدّد والتنوع سواء كان دينيا أو عرقيا أو غير ذلك من مجالات التنوع بين البشر تنفيذا لأمر الله تعالى «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» الحجرات/13 وارتكازا على مبدإ « لا إكراه في الدين» الذي «يفصح عن أن عالم الإنسان الباطن هو عالم الحرية، وأنه بوسع الأقوى إكراه جسد غيره، لكنّه لا يستطيع إكراه إرادته وفرض قناعاته عليه بالقسر والعنف» كما ذكر الدكتور احميده النيفر في مقاله حول «الوحدة والاختلاف في نهج التفاهم القرآني». لكنّ أعداء الإنسانية وهم مع الاسف بشر، يقفون حاجزا أمام تنفيذ أمر الله ويعملون جاهدين على تدمير الذات البشرية وتحطيم الإنسان، من خلال محاولات الهيمنة والاستغلال وإكراه الناس ولنا في الحلف الأوروأمريكي من جهة وداعش من جهة أخرى وما يحدث في منطقة الربيع العربي من حرب شعواء للقضاء على أمل الشعوب في تقرير مصيرهم خير دليل.

فبعد أن دمّرت الماكينة الغربيّة «الإنسان» في افغانستان ثم الصومال ثم العراق ثم سوريا واليمن، هاهي تحوّل وجهتها نحو ليبيا الشقيقة مستغلة التناحر الداخلي لتغرس فيها خنجر التدخل العسكري المشؤوم ليكون « الخاسر الأكبر في المرحلة القادمة الإنسان الليبي الذي سيعيش حالة أتعس بكثير من الحالة التي عاشها خلال السّنوات الخمس العجاف التي تلت ثورة فبراير والتي شهدت فيها البلاد كثيرا من الدّمار والتّخريب والنّهب والتّهجير والتّآمر على الوطن» كما جاء في مقال المهندس فيصل العش حول المسألة الليبية.

وفي تونس، مازال الطريق طويلا أمام «الإنسان» التونسي ليحقق أحلامه في العيش بكرامة وحرّية لأنّه لا«كرامة شخصيّة بدون حماية كرامة الوطن من ذل الخصاصة والقروض المباشرة المجحفة ... كرامة لن تتحقّق بثورة اقتصاديّة وسياسيّة إن لم تكن مصحوبة بثورة أخلاقيّة وقيميّة» كما جاء في مقال الأستاذ بشير ذياب .

المشروع الوطني الناجح كما يراه الباحث محمد الطرابلسي في مقاله «أزمة النخب السياسية في تونس»يجب أن يراعي الأبعاد التي تشكّل الإنسان السّوي وهي «البعد الفردي حيث يجد الإنسان ذاته فلا يحسّ بالغربة والبعد الجهوي بحضور محيطه الإجتماعي والجغرافي والثقافي والتاريخي والإقتصادي والسّياسي في المشروع والبعد الوطني وذلك بمراعاة الخصوصيات الثقافية والدينية والإقتصادية وأخيرا البعد الكوني يراعي تلاقح الحضارات والثقافات عبر العصور بإعتبار هذا «التونسي» جزء من هذا العالم الواسع الكبير».

«الإنسان» حاضر بقوّة في مقالات هذا العدد من زوايا مختلفة تتفق جميعها أنّه عمود النهضة وأساس رقي المجتمع وقلب بناء الحضارة.

... فقراءة ممتعة


التحرير

حكمة

«الجميع يفكر في تغيير العالم. ولكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه».

ليو تولستوي



الكتاب الحادي عشر
من سلسلة «كتاب الإصلاح»

«قراءة نقديّة لمقولات سلفيّة»

بقلم : محمد بوقرين



التحميل مجاني عبر موقع المجلّة:
www.alislahmag.com

الأولى

قراءة في «الشأن الليبي»
السلام المؤجل

تمرّ الذكرى الخامسة لاندلاع «ثورة 17 فبراير» اللّيبية التي أفضت إلى سقوط القذافي، والشّقيقة ليبيا تعيش حالة من التّوتر بعد أن دُقّت طبول التّدخّل العسكري الأجنبي بتعلّة محاربة تنظيم الدّولة في الوقت الذي تتواصل فيه الجهود حثيثة لتنفيذ الاتفاقيات التي أبرمت بين الفرقاء اللّيبيين في محاولة لترسيخ قدم حكومة وطنيّة موحّدة تلقى مساندة دوليّة تقطع مع ازدواجيّة في الحكم وتنهي الصّراع الدّامي بين المؤتمر الوطني الذي يحكم من طرابس وبرلمان طبرق وما تبعهما من ميليشيات، وتفتح الآفاق لوضع حدّ لحالة عدم الاستقرار والتناحر الدّاخلي الذي استفادت منه عدّة جهات أهمّها تنظيم الدّولة «داعش» وبعض الدّول الأجنبيّة العربيّة والغربيّة.

والكتابة عن الشّأن اللّيبي من خارج أرض الواقع صعبة ومعقّدة وقد تجانب الصّواب أو تفشل في إماطة اللّثام عن أهمّ مميّزاته وبالتّالي عدم تحقيق هدف إنارة الرّأي العام الذي مانفكّ يهتمّ بالشّأن اللّيبي خاصّة لما له من تأثير مباشر وغير مباشر على الوضع في بلادنا سياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا. ولهذا فإنّنا سنكتفي بتسليط الضّوء على بعض المؤشّرات التي نراها معبّرة عن الوضع في ليبيا وطرح بعض التّساؤلات التي نأمل أن تساعد القارئ الكريم على فهم ما تراكم حوله من أحداث.



(1) دور أجنبي قذر

لا يمكن فهم ما يحدث في ليبيا بمعزل عمّا يحدث في منطقة الرّبيع العربي من حرب شعواء للقضاء على أمل الشّعوب في نجاح ثوراتهم، تقودها قوى الردّة التي لا يخلو منها أي بلد، مدعومة بالسّلاح والمال وأبواق الإعلام المأجور بصفة مباشرة أو خفيّة من طرف أطراف عربيّة وإقليميّة ودوليّة فاجأتها الثورة فوجّهت كلّ طاقاتها في سبيل وأدها أو على الأقل الاستفادة منها للمحافظة على مصالحها وترسيخ التبعيّة الاقتصادية والثقافية لها.

ولم يعد خفيّا على أحد الدّور الذي لعبته ومازلت تلعبه الدّول الغربيّة خاصّة فرنسا وإيطاليا وأنقلترا والولايات المتّحدة الأمريكيّة مباشرة أو بالوكالة عبر دول عربيّة كالإمارات ومصر في التّأثير على مجريات الأمور في ليبيا عبر انحيازها الواضح لأحد أطراف الصّراع، حيث ساندت بقوّة برلمان طبرق وقامت بتوفير الدّعم للفصائل المناهضة للمؤتمر الوطني العام الذي يقوده إسلاميون. وإلاّ فكيف نفهم غضّ طرف القوى الدّولية عن انتهاكات الإمارات الصّارخة لقرار مجلس الأمن الدولي[1] بمواصلة توفير الأسلحة والعتاد لجنود اللّواء «خليفة حفتر» الذي يقود منذ مدّة ما يسمى بعمليات الكرامة للسّيطرة على العاصمة طرابلس ومناطق نفوذ قوات «فجر ليبيا» الفصيل العسكري الذي


فيصل العش

لم يعد خفيّا على أحد الدّور الذي لعبته ومازلت تلعبه الدول الغربيّة خاصة فرنسا وإيطاليا وأنقلترا والولايات المتحدة الأمريكيّة مباشرة أو بالوكالة عبر دول عربيّة كالإمارات ومصر في التأثير على مجريات الأمور في ليبيا عبر انحيازها الواضح لأحد أطراف الصراع.



يدافع عن حكومة المؤتمر الوطني العام؟

لكنّ الحلّ العسكري فشل في حسم المعركة لصالح الطرف المناهض لقوى الثورة، وتسبّب في بروز تنظيم الدولة «داعش» كقوّة جديدة بسطت نفوذها بسرعة على بعض المناطق الحسّاسة وانطلقت في تنفيذ مخططاتها للتّمدّد في اتجاه الشّرق والغرب حتّى أصبحت طلائع مقاتليها قاب قوسين أو أدنى من بوابتي مدينتي بنغازي ودرنة، الأمر الذي أربك القوى الدّولية والاقليميّة الرّافضة للمؤتمر الوطني العام ودفعها إلى تغيير خطّتها والدّعوة إلى حوار برعاية أمميّة، فكانت اجتماعات «الصخيرات» وتونس وروما والتي أنتجت في بداية هذا العام اتفاق الصخيرات بين بعض الأطراف السّياسية اللّيبية. اتفاق مازال يراوح مكانه خاصّة مع احتدام الاختلاف داخل برلمان طبرق ورفضه من طرف أغلب الأطراف العسكرية المتصارعة على الميدان.

(2) الذئب الراعي

لم تكن المظلّة الأمميّة منذ بدء المحادثات في الصّخيرات محايدة وهو ما يؤكّد التّوجه الذي ذهبنا إليه في أنّ هذا «الحوار» لم يكن من أجل فضّ الصراع بين القوتين الرئيسيّتين الليبيتين والبحث عن حلّ جذري ينهي التقاتل بينهما وإنّما كان حلاّ لتغيير خطّة الضّغط على المؤتمر الوطني ووضعه في الزّاوية في محاولة لاستبعاد الإسلاميين بالكامل من المشهد السّياسي اللّيبي. ولكن أيّ دليل يؤكّد هذا ؟ وهل يعقل أن تكون المظلّة الأمميّة غير محايدة؟

الجواب علي الجزء الثاني من السؤال لا يستحق كثيرا من العناء والبحث، فالحالة الفلسطينيّة والسّورية تؤشّر بوضوح إلى انحياز المنظمة الأممية وتنكّرها حتّى لقراراتها التي لم تر نور التنفيذ ولو جزئيّا. أمّا الدّليل على أنّ المظلّة الأمميّة لم تكن محايدة في الحالة اللّيبية فهو الفضيحة المدوّية للمبعوث الأممي السّابق «ليوناردينو ليون» الذي أشرف على الجزء الأول من حوار الصخيرات حيث كشفت إحدى رسائله البريدية السريّة بينه وبين الخارجيّة الإماراتيّة [2] بوضوح انحيازه لأحد أطراف النّزاع اللّيبي وفقا لما يتّسق مع الرّغبات الإماراتية وغيرها من الدّول الغربية حيث جاء فيها «خطتي تهدف كسر تحالف خطير جدًّا بين التّجار الأثرياء من مصراتة والإسلاميين الذين يحافظون على قوّة المؤتمر الوطني العام، وتعزيز الحكومة المعترف بها دوليًّا والمدعومة من الإمارات ومصر» وهو بهذا يوضح أنّه لا يعمل من خلال خطّة سياسيّة من شأنها أن تشمل الجميع وتعامل كلّ الأطراف بشكل متساوٍ، وإنّما وِفق خطّة لنزع الشّرعية تمامًا عن المؤتمر الوطني العام». وبموجب ذلك تحصّل «ليون» على مكافأة سخيّة حيث تمّ تعيينه مديرا عامّا لأكاديميّة الإمارات الدبلوماسيّة براتب شهري يبلغ 53 ألف دولار[3].

> لم يكن حوار الصخيرات من أجل فضّ الصراع بين القوتين الرئيسيّتين الليبيتين والبحث عن حل جذري ينهي التقاتل بينهما وإنّما كان حلاّ لتغيير خطّة الضّغط على المؤتمر الوطني ووضعه في الزّاوية في محاولة لاستبعاد الإسلاميين بالكامل من المشهد السّياسي اللّيبي.

> «خطتي تهدف كسر تحالف خطير جدًّا بين التّجار الأثرياء من مصراتة والإسلاميين الذين يحافظون على قوّة المؤتمر الوطني العام، وتعزيز الحكومة المعترف بها دوليًّا والمدعومة من الإمارات ومصر» «ليوناردينو ليون»

(3) اتفاق هشّ وحكومة بلا مخالب

الكلّ يعلم بأنّ اتفاق الصّخيرات لم يشرّك الأطراف العسكريّة الفاعلة على الأرض ولم يحصل لحدّ السّاعة على تأييدها، واللاّفت للنّظر أن بنود الاتّفاق خلت من آليات بناء جيشٍ ليبيٍ قويٍ!!! وبالتّالي فإنّ الحكومة التي ستنبثق عن الاتفاق لن يكون باستطاعتها السّيطرة على أرض الواقع وستكون حكومة بلا سلطة. ومع ذلك لاحظنا استعجالا غربيّا ملفتا للنّظر لتأييد اتفاق الصّخيرات والضّغط من أجل تنفيذه بسرعة، خاصّة من طرف فرنسا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة، فما هو السرّ وراء ذلك؟

لا ينظر الحلف الغربي الأمريكيّ إلى المسألة اللّيبية إلاّ من خلال تحقيق مكاسب جديدة أو على الأقل الحفاظ على مصالحه وهذا أضعف الإيمان. فهو لا يريد حكومة قويّة مدعومة من الشّعب ومن التّنظيمات المسلّحة المتعدّدة، قادرة على بسط نفوذها وتحقيق السّيادة الوطنيّة على كامل التّراب اللّيبي، بل يريدها ضعيفة لا تقدر على الحركة والتأثير، سرعان ما تلجأ إلى طلب الدّعم العسكري بتعلّة ضرب تنظيم الدّولة الإسلاميّة ومواجهة التّنظيمات المسلّحة غير المعترف بها، الأمر الذي سيجعل التّدخل العسكري الغربي مشروعا ومن دون شروط أو التزامات مسبقة.

> لا ينظر الحلف الغربي الأمريكي إلى المسألة اللّيبية إلاّ من خلال تحقيق مكاسب جديدة أو على الأقل الحفاظ على مصالحه. فهو لا يريد حكومة قويّة قادرة على بسط نفوذها على كامل التّراب اللّيبي، بل يريدها ضعيفة القدرة على الحركة والتأثير، سرعان ما تلجأ إلى طلب الدعم العسكري بتعلّة ضرب تنظيم الدولة الإسلاميّة ومواجهة التنظيمات المسلّحة

(4) شماعة داعش

إنّ نجاح «اتّفاق الصّخيرات» أو فشله لن يغيّر في استراتيجيّة الحلف الغربي الأمريكي المدعوم من بعض الدّول العربية السّاعية إلى غرس النّدم في نفوس العرب الذين حدّثتهم أنفسهم ذات مرّة بالثّورة. فالتّدخل العسكري في ليبيا لن يتأخّر طويلا وسيرتكز على تعلّة محاربة «داعش» وضرب قواعدها وبالتالي منعها من التمدّد كما يقولون[4]، لكنّ الهدف الأساسي من هذا التّدخل المرتقب يتلخّص في :

* التّحكم في الشّريط السّاحلي اللّيبي لمنع تدفّق اللاّجئين عبره إلى أوروبا.
* الهيمنة بالوكالة على الثّروة النّفطية اللّيبية وضمان إعادة تزويد أوروبا بالنّفط اللّيبي وعودة شركات النفط والغاز الأوروبية كـ «إيني» الايطالية و«توتال» الفرنسية و«ريبسول» الاسبانية وغيرها للعمل بأمان في ليبيا.
* تدمير القوة العسكريّة للتّنظيمات المسلّحة الرئيسيّة وعلى رأسها «فجر ليبيا» بالغرب و«مجلس شورى ثوار بنغازي» بالشرق [5] بتعلّة مكافحة الإرهاب كما تفعل روسيا اليوم في سوريا.
* اقتسام كعكة إعادة إعمار ليبيا التي تقدّر بأكثر من 200 مليار دولار، وتتطلّب فترة زمنيّة لا تقلّ عن الـ 10 سنوات. وبما أن الأطراف التي ستتدخّل في ليبيا هي المؤهّلة لإرسال شركاتها لإعادة الإعمار فالجميع يتسابق لأن يكون ضمن المتدخّلين.

(5) السناريو الكارثة

يعلّمنا التّاريخ أنّ التّدخلات العسكريّة الأجنبيّة لا تؤدّي إلاّ إلى الكارثة ولنا في الصّومال والعراق وافغانستان وسوريا أمثلة على ذلك. ولهذا فإنّ التدخل العسكري الدّولي المتوقّع في ليبيا ستكون عواقبه وخيمة على الجميع وسيزيد في نسبة الاحتقان بالمنطقة ويجلب لليبيا وجيرانها ودول الضفّة الشّمالية للمتوسّط الكثير من المتاعب.

> إنّ نجاح «اتّفاق الصّخيرات» أو فشله لن يغيّر في استراتيجيّة الحلف الغربي الأمريكي المدعوم من بعض الدّول العربيّة السّاعية إلى غرس النّدم في نفوس العرب الذين حدّثتهم أنفسهم ذات مرّة بالثّورة. فالتّدخل العسكري في ليبيا لن يتأخّر طويلا





فلن ينجح هذا التدخّل في القضاء على «داعش» لانتفاء الرّغبة لدى القوى التي ستنفّذه لفعل ذلك. أمّا الضّربات الجوّية التي ستستهدف بعض معاقله فلن تخلّف إلاّ مزيدا من الضّحايا المدنيّين المحاصرين في الرّقعة التي تسيطر عليها «داعش» وستكون سببا مقنعا لتدفّق عناصر متطرّفة جديدة على البلاد والالتحاق بتنظيم الدّولة بحجّة مقاتلة الغزو الأجنبي الكافر.

الخاسر الأكبر في المرحلة القادمة هو الشّعب اللّيبي الشّقيق الذي سيعيش حالة أتعس بكثير من الحالة التي عاشها خلال السّنوات الخمس العجاف التي تلت «ثورة فبراير» والتي شهدت فيها البلاد كثيرا من الدّمار والتّخريب والنّهب والتّهجير والتّآمر على الوطن. ولن تكون الحكومة الجديدة، وليدة اتفاق الصّخيرات، سوى رقما جديدا يُضاف إلى ساحة المعركة وأداة يشرّع بها الغرب تدخّله العسكري ونهبه لثورات البلد. فمن سيقدر على وضع حدّ لهذه المأساة؟ وهل من أمل في اجتماع حقيقيّ للفرقاء اللّيبيين يوحّد هدفهم حول إنقاذ الوطن بعيدا عن الأجندات الأجنبيّة وإملاءاتها؟ أم سيبقى صوت الرّصاص والقنابل يعلو فوق كلّ الأصوات؟ الأيام كفيلة لوحدها بتقديم الإجابة وإن كانت المؤشّرات الأوّلية ترجّح كفّة السّواد على البياض ...



لن ينجح هذا التدخّل في القضاء على «داعش» لانتفاء الرَغبة لدى القوى التي ستنفَذه لفعل ذلك. أمَا الضَربات الجوَية التي ستصيب بعض معاقله فلن تخلَف إلاَ مزيدا من الضحايا المدنيين المحاصرين في الرَقعة التي تسيطر عليها «داعش» وستكون سببا مقنعا لتدفق عناصر متطرفة جديدة على البلاد والالتحاق بتنظيم الدولة بحجَة مقاتلة الغزو الأجنبي الكافر.

الهوامش

(1) مقال بالانقليزية بجريدة نيورك تايمز الامريكيّة بتاريخ 15 نوفمبر 2015 - Leaked Emirati Emails Could Threaten Peace Talks in Libya

كشفت رسائل بريد إلكتروني إماراتية مسربة، حصلت عليها صحيفة نيويورك تايمز، قيام الإمارات العربية المتحدة بشحن الأسلحة لحلفائها في النزاع القائم في ليبيا خلال الصيف في انتهاك واضح منها للحظر الدولي على السلاح عدد 2214.

(2) حصلت صحيفة ميدل إيست آي على هذا البريد «المسرب» في 4 نوفمبر 2015، وكان مؤرخًا بتاريخ 31 ديسمبر 2014 أي بعد استلام «ليون» مهامه بـ5 أشهر.

(3) صحيفة «الغارديان» البريطانية بتاريخ 4 نوفمبر 2015. للاطلاع على المقال

«http://www.theguardian.com/world/2015/nov/04/un-libya-envoy-accepts-1000-a-day-job-from-backer-of-one-side-in-civil-war»

(4) نفهم ذلك من تصريح أحد الدبلوماسيين الفرنسي قبل توقيع الاتفاق قائلا «نريد التأكد من عدم سقوط الثروات النفطية بين ايدي الارهابيين.. وان لم يطبق الاتفاق ينبغي ان نضمن أمننا كما علينا التفكير في العبر الواجب استخلاصها». وتصريح السيد جون كيري «ان الولايات المتحدة مصممة على أن تقدّم لحكومة الوحدة دعما سياسيا كاملا ومساعدة تقنية واقتصادية وامنية وكذلك لمكافحة الارهاب». كذلك تصريح السيد مايكل فالون وزير الدفاع البريطاني «أنه بعد توقيع الأطراف الليبية على الاتفاق يمكن للمجتمع الدولي العمل مع جبهة ليبية موحدة ضد داعش»!!!.

(5) مجلس شورى ثوار بنغازي هو مسمى ظهر في 20 جويلية 2014 لائتلاف مجموعة كتائب الثوار في مدينة بنغازي الليبية لصدّ هجمات اللواء المتقاعد خليفة حفتر على المدينة.

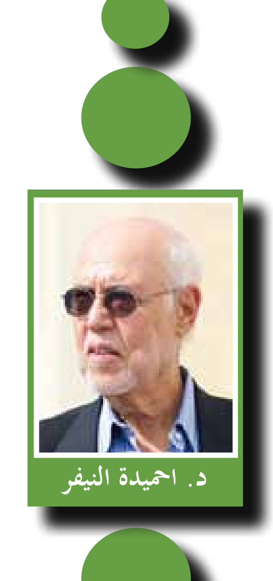
ـ مدير المجلّة.
faycalelleuch@gmail.com



الوحدة والاختلاف في نهج التفاهم القرآني

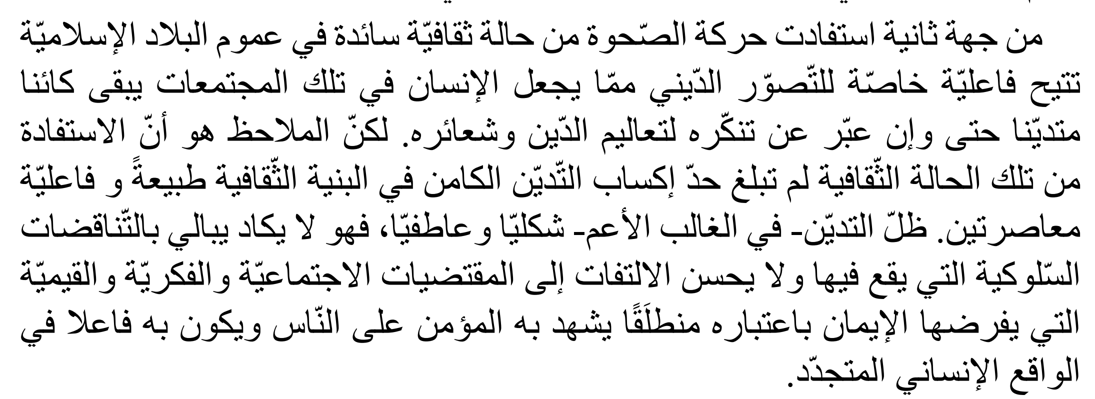
«لا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم ذلك أن القرآن هو سرّ وجود الأمة المسلمة وسر صُنعها للتاريخ».

طه عبد الرحمن، روح الحداثة (1)


د. احميدة النيفر

الفصام النكد

تنطلق الحركة الإحيائية التي يشهدها عالَم المسلمين اليوم والمعروفة باسم « الصّحوة» من اعتبار أنّ للتراث الإسلامي كلّ القدرة على مواجهة واقع الهيمنة الحضاريّة الحديثة التي يمارسها المركز (الغرب) على الأطراف المتخلّفة حضاريا. هذه المقولة المعتمِدة على التّراث وحده، على أهمّيتها، واقعة في حالة فصام تاريخيّ. إنّها من جهة أولى لا تلتفت إلى طبيعة التّغييرات الاجتماعية والاقتصاديّة والمعرفيّة الهائلة التي عرفها عالم الإنسان منذ الثّورة الصناعية والتي تسارعت وتيرتها بصورة غير مسبوقة مع الثّورة المعلوماتيّة. يتمثّل إعراض الإحيائيّة الإسلاميّة أساسا في رفض استيعاب الخلفيّة الفكريّة والمبدئيّة لتلك التّغييرات ممّا جعلها في قطيعة معها وعجز عن تطويرها أو تجاوزها رغم إقرارها العمليّ بأنّه لا مفرّ من التّعامل معها في مستوياتها الحضارية التّقنية.

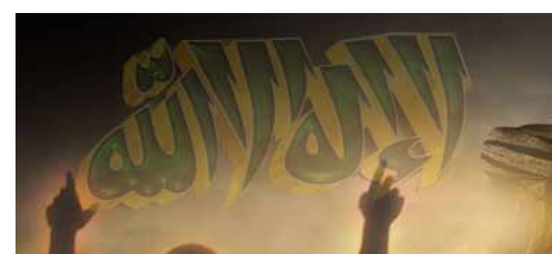


من جهة ثانية استفادت حركة الصّحوة من حالة ثقافيّة سائدة في عموم البلاد الإسلاميّة تتيح فاعليّة خاصّة للتّصوّر الدّيني ممّا يجعل الإنسان في تلك المجتمعات يبقى كائنا متديّنا حتى وإن عبّر عن تنكّره لتعاليم الدّين وشعائره. لكنّ الملاحظ هو أنّ الاستفادة من تلك الحالة الثّقافية لم تبلغ حدّ إكساب التّديّن الكامن في البنية الثّقافية طبيعةً و فاعليّة معاصرتين. ظلّ التديّن- في الغالب الأعم- شكليّا وعاطفيّا، فهو لا يكاد يبالي بالتّناقضات السّلوكية التي يقع فيها ولا يحسن الالتفات إلى المقتضيات الاجتماعيّة والفكريّة والقيميّة التي يفرضها الإيمان باعتباره منطلَقًا يشهد به المؤمن على النّاس ويكون به فاعلا في الواقع الإنساني المتجدّد.

نحن بذلك نشهد حالة فصام مثنّى يغذّي كلُّ طرف منه الطرف الآخر بما يعقّد حالة المسلمين بصورة خاصّة ويجعل البعض يفسّر ذلك باستحالة دخول المسلمين جديّا الأزمنة الحديثة.

ذلك هو الفصام النّكد على الحقيقة، فصامٌ جاء نتيجة ردود فعل مأزومة لم تنته إلى ضبط أساس فكري وموضوعي لموقفها. لذلك فلا مناص من طرح السؤال المثنّى:

نحن نشهد حالة فصام مثنّى يغذّي كلُّ طرف منه الطرف الآخر بما يعقّد حالة المسلمين بصورة خاصّة ويجعل البعض يفسّر ذلك باستحالة دخول المسلمين جديّا الأزمنة الحديثة. فصام جاء نتيجة ردود فعل مأزومة لم تنته إلى ضبط أساس فكري وموضوعي لموقفها.



كيف يَتِمّ الخروج من حالة السّخط على الأزمنة الحديثة ؟

كيف يمكن تجاوز ذلك التديّن الخام بتحويله إلى فاعليّة ومعاصرَة ؟

للإجابة يتوفر أكثر من مدخل لكن تلك المداخل تتجمّع في محور هو «الإنسان»: ما هي طبيعته وما هو موقعه في الوجود وكيف يكون تعبيره عن ذلك الموقع؟

سواء اتّجه الحرص إلى الوعي المدنيّ وما يرتبط به من عقد اجتماعي أو كان المنطلق هو إعادة النّظر إلى الذّات والإقبال على فهم الآخر أو ارتكز الاهتمام على البعد الإيماني وأثره في رؤية العالَم وما يقتضيه ذلك من معالجة التّعددية الثّقافية والدّينية، أيًّا كان المدخل فإنّ «الإنسان» هو منتهى كل المقاربات العلاجيّة لمعضلة المسلمين الحضارية.



بالنظر إلى النَص القرآني المؤسّس لحضارة المسلمين نجد أنَ «الإنسان» طرف أساسيَ فيه وهو من جهة البناء القرآني وخاصيته الدَلالية يبرز كمصطلح مفتاحي له علاقة ترابط مع جملة من المفاهيم والثنائيات التي تشكَل فيما بينها تكاملا ونظاما مفهوميا واحدا.

الإنسان القرآني و العصر

بالنظر إلى النّص القرآني المؤسّس لحضارة المسلمين نجد أنّ «الإنسان» طرف أساسيّ فيه وهو من جهة البناء القرآني وخاصيته الدّلالية يبرز كمصطلح مفتاحي له علاقة ترابط مع جملة من المفاهيم والثنائيات التي تشكّل فيما بينها تكاملا ونظاما مفهوميا واحدا. الله والإنسان، النبيّ والتاريخ، الشريعة والأمة، العالَم والآيات، آدم والخليفة... تشكّل جميعُها شبكة مفاهيمية واحدة تجمع بين مفرداتها صِلاتٌ ترابطية تمثل العنصر القاعدي الموجه في كامل الخطاب القرآني. يطبع هذا العنصر بصبغته الأصيلة كل عبارة أو مفهوم أو مصطلح متضمّن في ذلك الحقل الدّلالي. لكنّ أهميته تتجاوز هذا المجال المفاهيمي لتحدّد الحامل المنهجي القاطع مع الفهم التّجزيئي الذي يتخبّط فيه المسلم المعاصر في مواجهته لكبريات القضايا الحضاريّة المطروحة عليه وعلى الإنسانيّة.

المقاربة الدّلالية لمفهوم «الإنسان» في اللّغة القرآنيّة تضعنا أمام أبعاده الجديدة التي تنضاف إلى المعنى العادي للإنسان والتي يكتسبها من النّظام المفاهيمي والتّرابط الذي يوجده البناء العام للقرآن الكريم. مفهوم الإنسان في المعجم القرآني مختلف نوعيّا عما هو عليه في الاستعمال القديم أو الحديث. في السّياق القرآني لا تتناقض دلالة «الإنسان» مع التعاريف القديمة والحديثة لكنها متميّزة عنها في آن. ذلك أنّ الدّلالة القرآنية لا تُستَمَد من ذات العبارة فحسب لأنّ الاقتصار على لفظ الإنسان غير كاف باعتبار أنّه ليس من أهم الألفاظ القرآنية تداولا. بهذا فإنّ «الإنسان» في المعجم القرآني مخاطَبٌ بالوحي فهو «الخليفة»، خليفة الله، وهو بمقتضى هذه الصفة الأساسية :

- كائنٌ متميز في سُلّم الموجودات بالإرادة وبإمكان الوعي بمسؤوليته في عالَم هو موضوع المعرفة وأحد مصادرها.

المقاربة الدّلالية لمفهوم «الإنسان» في اللّغة القرآنيّة تضعنا أمام أبعاده الجديدة التي تنضاف إلى المعنى العادي للإنسان والتي يكتسبها من النّظام المفاهيمي والتّرابط الذي يوجده البناء العام للقرآن الكريم.

- كاشفٌ لذاته، يرتقي بها بصفتها مجالا أعمق من نفسيّة الفرد العاديّة معتمدا في ذلك على تجربة حيويّة تنطلق من توقه إلى ذات الحقّ العليا.

- بانٍ لتجارب واقعيّة متمثلة للخطاب القرآنيّ بما يجعل إنسانيته في صيرورة مبدعة ومتفاعلة مع أعمق رغبات العالَم المحيط به.

بعبارة واحدة الإنسان القرآني كائن متجدّد باستمرار في رؤيته لذاته وللآخر المختلف وللكون اللامتناهي.

كيف يمكن للإنسان القرآني أن يتنزّل في هذا العصر؟ و ما هي أبرز التحديات التي ستواجهه في المستويين العقدي والعملي نتيجة هذا الحضور؟

كيف يمكنه أن يتمثّل مبدأ الاستخلاف المؤسّس لوجوده قرآنيّا ضمن سياق حضاري مبدأه المساواة في الحقوق والواجبات والداعم للقانون والمؤسّسات والحريات؟

كيف يمكن للإنسان القرآني أن يجيب عن سؤال العصر ومعضلته: العيش سويّا ومختلفين ؟

هل يتيح الخطاب القرآني إرساء حداثة إسلامية تطرح قضيّة « التّعددية» بصورة فاعلة تجعل حظوظ الأمّة أوفر بفضل التّعايش المثري بين المنظومات الثقافيّة والدّينيّة والفكرية المختلفة؟



من أوّل مقتضيات الإجابة عن سؤال: كيف يمكن أن نعيش سويّا ومختلفين؟ ضرورة تأسيس عقدي وفكري لقضيّة الوحدة والاختلاف لمواجهة الخطاب الذي لا يرى في التَعدد إلا مجرد عَرَض طارئ يمكن الرِضا به مؤقّتا في الواقع الاجتماعي - السَياسي الذي ينبغي تجاوزه لا محالة.



اللاتكافئ و التحيين الثقافي

للإجابة لا بدّ من التّنبيه على أنّ خطاب القطيعة الرّافض للمعاصَرة المعتمَد في عموم التّوجه « الإحيائي» يُسقط من تقديره أنّ الإنسان القرآني لا يمكن أن يولد اليوم بصورة ذاتيّة تنكر تحوّل الذّات وتعرض عن فهم الآخر. هو لذلك مطالب بالتّخلّص من الرّؤية التّقليدية للهويّة أولا ومدعوٌّ ثانيا إلى تمشٍ تأسيسي لمشكلة العلاقة بالآخر المختلف.

من أوّل مقتضيات الإجابة عن سؤال: كيف يمكن أن نعيش سويّا ومختلفين؟ ضرورة تأسيس عقدي وفكري لقضيّة الوحدة والاختلاف لمواجهة الخطاب الذي لا يرى في التّعدد إلاّ مجرد عَرَض طارئ يمكن الرّضا به مؤقّتا في الواقع الاجتماعي – السّياسي الذي ينبغي تجاوزه لا محالة. مؤدّى القول بهذا التّأسيس هو اعتبار أنّ ولادة إنسان أصيل أي فاعل في العصر مرتبطٌ عضويّا بمسألة العلاقة بالآخر بما يحوّلها إلى قضيّة مفصليّة تتنزّل ضمن رؤية معتمدة ومحكَّمة منبثقة من قراءة منهجيّة للنّصوص المؤسّسة.

أول العناصر الفكرية المحققة لهذه القراءة تبرز من خلال ضرورة معالجة ظاهرة التمركز الثقافي في الفضاء العربي الإسلامي. تمثّل هذه الظّاهرة عقدة ثقافيّة اجتماعية ينبغي التّوقف عندها عند استحضار معضلة الفكر الإحيائي السائد ومحوريّة قضيّة الإنسان بالنّسبة إلى مختلف التّوجهات الفكريّة والعقدية العاملة في ذلك الفضاء. ذلك أنّ ظاهرة التّمركز الثقافي تعدّ حائلا معطّلا يمنع بلوغ حدّ التكافئ الإنساني والفكري بين الذّات والآخر. مثل هذا التّمركز، الذي ليس احتكارا على عالمنا، يجعل أنساقنا الثقافية وآلية تفكيرنا وطبيعة خطابنا ورؤيتنا لذواتنا ولغيرنا مُحَمَّلة بمعان ثقافية لم يشملها أي تحيين جذري فظلّت لذلك ضاربة في التّنميط وفي اللاّتكافئ.

مثل هذا الجانب الثّقافي يعدّ عنصرا حاسما قبل الشّروع في مباشرة الجانب العقدي

تمثّل ظاهرة التمركز الثقافي عقدة ثقافيّة اجتماعية ينبغي التّوقف عندها عند استحضار معضلة الفكر الإحيائي السائد ومحوريّة قضيّة الإنسان بالنّسبة إلى مختلف التّوجهات الفكريّة والعقديّة العاملة في ذلك الفضاء.



والتأصيلي لمبدأ الاستخلاف ضمن التحوّلات الحضاريّة العميقة التي تشهدها الإنسانيّة اليوم.

يقتضي الشّروع في قراءة دلاليّة تركيبيّة لمسألة التّعدد في الخطاب القرآني إدراك تلازمها مع تمثّل دقيق لخصوصيات البنية الثّقافية التي أرساها النّص القرآني وعلى أيّة قواعد إيمانيّة أسّسها لندرك بعد ذلك ماذا اعتراها من عطب وكيف تتأتى معالجتها. من هذه الإضاءة الثّقافية لطبيعة الخطاب القرآني يتمكّن تأصيل الاختلاف من تفعيل الذّات بتمثّلها المثري لما بلغه الفكر المعاصر من قيم التّنظيم الاجتماعي والسّياسي.



يقتضي الشّروع في قراءة دلاليّة تركيبيّة لمسألة التّعدد في الخطاب القرآني إدراك تلازمها مع تمثّل دقيق لخصوصيات البنية الثّقافية التي أرساها النّص القرآني وعلى أيّة قواعد إيمانيّة أسّسها لندرك بعد ذلك ماذا اعتراها من عطب وكيف تتأتى معالجتها.



بعد هذا يمكن أن تطرح الأسئلة المباشرة التّالية:

كيف يمكن انطلاقا من نصّ الوحي في ضوء الاعتبار الثّقافي الذي وقعت الإشارة إليه الإجابة عن سؤال العصر؟ وكيف أفصحت آيات القرآن الكريم عن مفهوم الاختلاف؟ وهل تتوفّر للآيات القرآنيّة موجهات منهجيّة لهذه المسألة؟

إن بدأنا بجانب المضمون فإنّ مسألة التّعدد ترد في القرآن الكريم ضمن حقل دلالي واسع تحدّده عبارات مرتبطة بمقصد الخلق وما اتصل بمجال الإيمان والكفر من معاني «التعارف» و«العفو» و«الإكراه» و«التذكير» وما ارتبط بسنن التاريخ وحراك المجتمعات. تتقاطع ضمن هذا الحقل الممتد جملة من الدّوائر مجسّدة قيمة جديدة بالنّسبة إلى مجتمعات قديمة كانت لا تفصل بين التّدين والرّوابط الاجتماعيّة المقيّدة مُنَزّلةً مفهوم الإنسان ضمن خطاب امتثالي يقصره على فرديّة آسرة وعشائرية طاغية.

لقد كان مبدأ « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»[2] خطوة حاسمة تحدّى بها الخطاب القرآني النسق الثّقافي والدّيني السّائد سواء أكان متمثّلا في الوثنيّة أم في النّصرانية أم في اليهوديّة أم في غير ذلك. أساس هذا المبدأ الجديد، زمن النزول وفي كل آن، يرتبط بمفهوم الاستخلاف وبالخصائص الأساسيّة للإنسان المستخلف التي سبق ذكرها. يتعلق مبدأ «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» بجملة من القيم الجديدة أو المجدّدة المتّصلة بالأفراد وبالجماعات والتي تتعيّن في قضية صميميّة هي مفهوم «الحق». تكشف هذه القضيّة جانبا مؤسّسا في البنية القرآنيّة حين نقرأ : «وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ»[3] . تتدعّم قيمة التّعدد واحترام الاختلاف في دوائر أخرى مثل قوله تعالى: «وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ »[4] أو قوله «وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»[5]. أمّا في جانب العلاقات بين المجموعات فالآيات التي تؤكد على مساواة النّاس أيّا كانت معتقداتهم لافتة للنظر. من ثمّ يتقرّر مبدأ التّعددية من خلال قوله تعالى: « وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ»[6] أو قوله«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»[7].



لقد كان مبدأ «لا إكراه في الدّين» خطوة حاسمة تحدّى بها الخطاب القرآني النسق الثّقافي والدّيني السّائد سواء أكان متمثلا في الوثنيّة أم في النّصرانية أم في اليهوديّة أم في غير ذلك.

التكريم و شرعية إيمان الآخر

أبرز ما تثبته هذه الدّوائر المفاهيميّة المتحلّقة حول إشكاليّة « الحقّ» هو أنّ الإيمان وإتّباع الحقّ لا ينفصل عن الصيرورة التّاريخية، ذلك ما يشرح التّركيز القرآني على تعدّد الرّسالات الإلهية وصلتها العضويّة بسياقاتها التّاريخية. يتّضح هذا في الآية : «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا»[8] بما تعنيه من الدّعوة إلى تجنّب « الحصريّة» وروح الطّائفية. ثم يتأكّد هذا أيضا من خلال آيتين مدنيتين :

- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [9] .
- «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »[10] .

لذلك فإن الإقرار بمبدأ تعدّد الرّسالات الإلهيّة التي ُتختَم برسالة محمد صلى الله عليه وسلّم يفضى إلى أنّ الخطاب القرآني جعل معاييرَ لحقيّة أيّة رسالة: إنّها الإيمان بالله الواحد واليوم الآخر والعمل الصالح.

آية مدنيّة ثالثة تؤكّد هذا التّوجه: «لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا» [11] .

تحققت هذه المعالجة القرآنيّة لمسألة الاختلاف خاصّة في المرحلة المدنيّة بالنّظر إلى المقتضيات الدّينية والاجتماعية المتعيّنة في ذلك الوضع. في ذلك الإطار الذي كانت للمسلمين فيه يد طولى ظلّت المعالجة متأنية وواضحة للتّعامل مع إشكاليّة «الحقّ» على اعتبار أنّ داء «الحصريّة» الذي تنحسر معه الرّحمة في حدود ضيقة يظلّ متربصا بأتباع جميع الرّسالات دون تمييز. هذا ما يفسّر الرؤية القرآنية لمعضلة الحصريّة التي يغذّيها التّمركز الثّقافي المفضي إلى الإيغال في الحرفيّة واللاّتكافئ بما يؤكّده الوحي من أنّ تلك المعضلة لا تستثني أحدا حتّى حاملي رسالة التّوحيد الخاتمة.

الحصرية، في الخطاب القرآني، لا تتيح معالجة سويّة لإشكاليّة « الحقّ» لأنّها تقضي على العلاقة التفاعليّة بين الوحدة والاختلاف لكون الحصريّة فيما ترسيه من اعتقاد أنّ الخلاص والنّجاة حكرٌ لدى ملّة بعينها لا تتجاوزها لغيرها تُفرغ الاستخلاف من كلّ حسّ تاريخي ومن فاعليته التّجديدية.

ما ينبغي إضافته هو أنّ معالجة الوحدة والاختلاف ضمن إشكاليّة الحقّ وما يرتبط بها من مبدأ الاستخلاف في ضوء المفهوم المحوري للإنسان لم تظهر في الفترة المدنيّة فحسب. لقد تناولت الفترة المكّية من القرآن الكريم ذات الإشكاليّة عندما أسّست قيمة التّعارف وتقدير الاختلاف من مداخل عقديّة مختلفة. كانت في ذلك تتوخّى مسالك تتناسب والوضع التّاريخي الذي كانت تعيشه الجماعة المؤمنة الأولى ونوع التّحديات التي تواجهها. لكنّها كانت في ذلك تستبطن أيضا في تلك المعالجة أصولا قابلة لمواجهة المستجدّات التي تنتظر الأمّة في سياق إنساني مفتوح من جهة ثانية.

في ضوء هذه العناية القرآنيّة التي تعمل على تجاوز حصريّة الحقّ في طائفة أو



الحصريـة، في الخطاب القرآني، لا تتيح معالجة سويّة لإشكاليّة « الحقّ» لأنّها تقضي على العلاقة التفاعليّة بين الوحدة والاختلاف لكون الحصريّة فيما ترسيه من اعتقاد أنّ الخلاص والنّجاة حكرٌ لدى ملّة بعينها لا تتجاوزها لغيرها تُفرغ الاستخلاف من كلّ حسّ تاريخي ومن فاعليته التّجديدية.

إن الإقرار بمبدأ تعدّد الرّسالات الإلهيّة التي ُتختَم برسالة محمد صلى الله عليه وسلّم يفضى إلى أنّ الخطاب القرآني جعل معاييرَ لحقيّة أيّة رسالة: إنها الإيمان بالله الواحد واليوم الآخر والعمل الصالح.



ملّة يُستَنبت الإنسان ليكون ذلك الكائن المتميز والمتجدّد باستمرار. إنّها ولادة تستدعي رؤية للذّات وللجماعة وللآخر المختلف تسمح بتركيز بناء حضاري مبدع ومفتوح على مختلف الجهود الإنسانيّة. هذا ما تفيده قصّة «آدم» في صياغتها القرآنية إلى جانب ما تعنيه قصّة ابني آدم وخصوصية العرض القرآني لنبئهما. هما قصّتان، متميّزتان في دلالتهما عما كان متداولا بين أتباع الرّسالات الدّينية الأخرى من معاني تينك الحادثتين اللّتين تؤسّسان في الخطاب القرآني منظومة للقيم مولّدة لإنسان جديد متشرّب لمعاني الحرّية والإرادة والمساواة. ذلك ما يثبته الخطاب القرآني ضمن دوائره المحايثة لمسألة «الحق» من خلال الأصل الجامع لآدم في بعده الانطولوجي المتعلّق بوجود الإنسان باعتباره كائنا مسؤولا أي فاعلَ ذاته.

> تنبع علاقة الوحدة بالاختلاف في الخطاب القرآني من تلك المعالجة الخاصّة لإشكالية الحقّ من خلال النّظر إلى النّاس باعتبارهم متساوين، كرّمهم الله تعالى بقوله «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» تكريما شاملا لكل النّاس. هو في ذات الوقت قطعٌ مع الحصرية المنكرة لأية علاقة بين الوحدة والاختلاف وتجاهلٌ لمبدأ استخلاف الإنسان ومقتضياته الثقافية والدينية والفكرية.

على هذا تكون علاقة الوحدة بالاختلاف في الخطاب القرآني نابعة من تلك المعالجة الخاصّة لإشكالية الحقّ من خلال النّظر إلى النّاس باعتبارهم متساوين، كرّمهم الله تعالى بقوله « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ»[12] تكريما شاملا لكلّ النّاس. هو في ذات الوقت قطعٌ مع الحصرية المنكرة لأية علاقة بين الوحدة والاختلاف وتجاهلٌ لمبدأ استخلاف الإنسان ومقتضياته الثقافية والدينية والفكرية. مؤدى هذا عقديا هو أن حل إشكالية الحق يتطلب الإقرار باحترام الآخر في اختيار طريقه إلى الحق و هو الإقرار المنبثق من تكريم الله للإنسان، وإن احترام المختلف إنما هو تعبير عن احترام لمشيئة الله القائل: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»[13]. من ثم يكون الإقرار بشرعية إيمان الآخر المختلف المدخلَ المتيح للتعارف و التعايش و الإثراء المتبادل وفق التوازنات الأخلاقية و الاجتماعية والسياسية المناسبة لكل سياق.

الإيمان في معناه الحضاري

سبق أن ذكرنا أن آية « لا إكراه في الدين» هي مبدأ قرآنيّ مؤسّس مثّل بالنسبة إلى القرن السّابع الميلادي تحوّلا حاسما واجه به الخطاب القرآني الأنساق الثقافية والمنظومات الدينية السائدة آنذاك. لكنّه كان في ذات الوقت تحدّيا مفتوحا على قادم العصور بما يمثّله عنصر الإنسان القرآني من ركيزة كبرى لمرجعيّة التّوحيد بمعناها الشّامل الذي يجعلها مفعِّلة لكل المجتمعات وحاملة للمعنى الذي لا يفقد راهنيته ولا تستنفد أغراضه. بهذا المعنى فمبدأ « لا إكراه في الدين» يفصح عن أن عالم الإنسان الباطن هو عالم الحرّية، وأنّه بوسع الأقوى إكراه جسد غيره، لكنّه لا يستطيع إكراه إرادته وفرض قناعاته عليه بالقسر والعنف. من ثمّ يتبيّن أنّ التّحدي القرآني الدّائم يتجسّد في خصوص موضوع الوحدة والاختلاف في كونه يعتبر أنّ لا حياة روحيّة واقعيّة من دون حرّية اختيار، وأنه لا حرية اختيار بانتفاء الحرية الدينية.

مع ذلك فإنّ بعض المفسّرين ذهب إلى أنّ هذه الآية منسوخة بآية القتال وهذا ما نبّه عليه دون أن يقرّه المفسّر أبو بكر ابن العربي صاحب أحكام القرآن. لكنّه مع ذلك وبالاستناد

> **يتجسّد التّحدي القرآني الدّائم في خصوص موضوع الوحدة والاختلاف في كونه يعتبر أنّ لا حياة روحيّة واقعيّة من دون حرّية اختيار وأنه لا حرية اختيار بانتفاء الحرية الدينية.**

إلى المنهج التّجزيئي، قال بلزوم الإكراه على الإسلام، بالتّفريق بين الإكراه على الباطل والإكراه على الحقّ، معتبرا أنّ الأول مرفوض بينما الثاني واجب [14] .

هل ينسجم ذلك مع ما نصّت عليه آيات متعدّدة، منها: «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ» [15] وآية «مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ» [16] وآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » [17] ؟

يعيدنا هذا التّساؤل إلى أهمّية المنهج الذي ينبغي اعتماده في تفسير القرآن الكريم وضرورة التركيز عليه بخصوص مسألة الوحدة والاختلاف التي تشغلنا هنا. لذلك حريّ أن نسأل: كيف يمكن أن نفهم آيات تكريم الإنسان في إطلاقها وشمولها وما تقتضيه من تعارف وتقدير للآخر المختلف وبين الآيات المتعلّقة بإدانة تحريف أهل الكتاب والتّشديد عليهم ووسم سلوكهم بالكفر وقلّة الإيمان وما يلزم ذلك من إلغاء شرعيّة إيمانهم؟ ما ذكره المفسّرون القدامى في هذا الموضوع هام لكنّه على تنوّعه ينتهي إلى إحدى قراءتين: قراءةٍ تجزيئية وأخرى تركيبية. تتخيّر الأولى نصوصا فتعتمدها وتتغافل عن أخرى من أجل التوصّل إلى نوع من الانسجام في الدّلالات القرآنية. أمّا القراءة الثانية فهي تعتبر أنّ النّص القرآني يتميّز ببنية متكاملة تجعل منه معادلا للوحي الإلهي في التّاريخ وبديلاً عنه في مرحلة ختم النبوة.

> هناك قراءتان، قراءةٍ تجزيئية وأخرى تركيبية. تتخيّر الأولى نصوصا فتعتمدها وتتغافل عن أخرى من أجل التوصّل إلى نوع من الانسجام في الدّلالات القرآنية. أمّا القراءة الثانية فهي تعتبر أنّ النص القرآني يتميّز ببنية متكاملة تجعل منه معادلا للوحي الإلهي في التّاريخ وبديلا عنه في مرحلة ختم النبوة

اعتنى بمثل هذه القراءة بعض الدّارسين المحدثين مثل «فضل الرحمن» فأكّد في مطلع كتابه «الإسلام وضرورة التحديث» [18]، أنّ تعثّرات الحاضر وعدم نجاعة الأدوات الفكريّة المعتمَدة إنّما يرجع إلى «الافتقار إلى المنهج الصالح لفهم القرآن نفسه». هو بذلك يرجّح القراءة التركيبية للبنية القرآنية التي تكتسب مشروعيتها من استمرارية الحفظ الإلهي للنّص الموحى. هي قراءة ذات بعدين: بعدٌ يجعله موصولا بعصر النّزول وظرفيته في مستواه الآني بتقديم ما يستلزمه ذلك المستوى من حلول تناسبه. ثم هناك بعدٌ ثان لهذه البنية يتجاوز بها تلك الأحداث الظرفية للوصول إلى القيم الثابتة والمقاصد الموجّهة التي تصبح بمثابة التّكليف الذي ينبغي أن يسعى المؤمنون إلى مقاربته. لذلك فالمنهج التّركيبي يعتمد في مقاربته للنّص القرآني على أكثر من مستوى في الفهم : فهناك مستوى الزمن القرآني وهناك مستوى الكليات القرآنية . البنية القرآنية تاريخية من حيث معالجتها للحدث الظرفي القريب لكنها في ذات الوقت متعالية عليه منفتحة على مختلف الأوضاع والأزمنة وعلى المؤمنين أن يتحرّوا في تعاملهم مع تلك البنية الصّلة التقابلية الجدلية لبلوغ ما هو أقوم وأزكى.

هذا التعدّد في طبيعة البنية القرآنية يضع أساسا للحركة الفكريّة والاجتماعيّة التي تسعى إليها الأمّة وهي تنتقل من طور إلى آخر. عند الوقوف على المنطق الذي حكم التّشريعات المنصوص عليها في فترة التّأسيس يتاح المجال لعلماء الأمّة في مستقبل الأيام وكلّما دعت الحاجة أن يتزوّدوا بما يمكّنهم من صياغة تعاليم القرآن ومنطقه بشكل حيّ وفعّال.

أما إهمال هذا المنهج فإنه يؤدي عند بحث موضوع الوحدة والاختلاف إلى انتهاك حرمة الإنسان الذي كرمه الله تعالى وذلك في مستويين اثنين: هو استخفاف بإيمان الآخر

> **البنية القرآنية تاريخية من حيث معالجتها للحدث الظرفي القريب لكنها في ذات الوقت متعالية عليه منفتحة على مختلف الأوضاع والأزمنة وعلى المؤمنين أن يتحرّوا في تعاملهم مع تلك البنية الصّلة التقابلية الجدلية لبلوغ ما هو أقوم وأزكى**

وعدم احترام خصوصيته وهو في ذات الوقت إعراض للذّات عن وظيفة الاستخلاف التي تعتمد جدل المؤمن مع واقعه من جهة وحواره مع النصّ من جهة أخرى[19] .

أكثر الأمثلة تعبيرا عن ذلك المستوى الأول من التّعامل التّجزيئي المعرض عن طبيعة البناء القرآني وتوجهه في العلاقة مع الآخر المختلف نجده في طلب «البهلول بن راشد» في القرن الثاني الهجري وهو أحد كبار علماء إفريقية، من أحد أصحابه الذين اشتروا له زيتا من نصراني زاد في الكيل تبرّكا بالبهلول، طلب إرجاع الزّيت إلى النّصراني قائلا : «إني أخاف أن أجد في قلبي مودّة إلى ذلك الذمّي»؟

مقابل ذلك فإنّ المدونة الفقهيّة التي تركها مثلا الونشريسي، الفقيه المالكي المغاربي في القرن العاشر الهجري سجلت تعاملا مغايرا مع الآخر المختلف مؤكدا أهمية المقاربة الدلالية التركيبية للنص القرآني وأثرها في التألق الحضاري والفكري في الغرب الإسلامي[20] .

ما يمكن أن يقال في كلمة أخيرة بأنّ الغلو والتّكفير ليسا سوى ظواهر تاريخيّة قابلة للتّجدد لكنّها تظلّ محكومة بجملة التّصورات والفهوم التي نؤسس عليها الإيمان. يظهر هذا بجلاء في موضوع التعدّد والاختلاف وصلته الوثيقة بالبنى الفكريّة والعقديّة التي تشكّل ما يعتبر « ثقافة دينية» والتي تختلف عن جوهر الدّين ذاته. فإذا كان هذا الأخير مؤدٍ إلى الإيمان الذي يعني الطريق المميزة للقاء بالله فلا بدّ من الوصول إلى أنّ ذلك الإيمان لا يمكن أن يستنفد غنى كلام الله وعلمه ورحمته، كما أنّه يتمثّل الخصائص الثقافية والنفسية والحضارية للجماعة التي يزدهر فيها. لذلك فإنّ نفس ذلك الإيمان يفترض الإقرار بأنّه هبة من الله سبحانه وهو يعبر من جهة الإنسان عن اختيار وشهادة وأنّه في المسلكين مرتبط بقيمة مؤسِّسة هي الحرّية التي لا تنفك عن حقّ الاختلاف في الفهم والرّؤية والتّأويل.

> ليس الغلو والتّكفير سوى ظواهر تاريخيّة قابلة للتّجدد لكنّها تظلّ محكومة بجملة التّصورات والفهوم التي نؤسس عليها الإيمان. يظهر هذا بجلاء في موضوع التعدّد والاختلاف وصلته الوثيقة بالبنى الفكريّة والعقديّة التي تشكل ما يعتبر « ثقافة دينية» والتي تختلف عن جوهر الدّين ذاته.

الهوامش

(1) راجع روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، دار المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1 2006.
(2) سورة البقرة 2/ 256.
(3) سورة الكهف 18/ 29.
(4) سورة الرعد 13/ 22.
(5) سورة الفرقان 25/ 63.
(6) سورة فاطر 35/ 24.
(7) سورة يونس 99/10.
(8) سورة المائدة 5/ 48.
(9) سورة البقرة 2/ 62.
(10) سورة المائدة 69/5.
(11) سورة النساء 123/4 و124.
(12) سورة الإسراء 70/17.
(13) سورة القصص 56/28.
(14) يقول ابن العربي في خصوص آية لا إكراه في الدين: « هو عموم في نفي إكراه الباطل أما الإكراه بالحق فإنه من الدين و هل يقتل الكافر إلا على الدين «، انظر أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، ج1 ص 233، دار إحياء التراث العربي، بيروت د. ت .
(15) سورة الغاشية 21/88 و22.
(16) سورة الإسراء 15/17.
(17) سورة المائدة 105/5.
(18) ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، لندن ط1993،1.
(19) راجع السيد محمد حسين فضل الله، الاجتهاد بين أسر الماضي و آفاق المستقبل، فصل الاختلاف بين التعددية و المسؤولية الإيمانية، المركز الثقافي العربي، ط1 بيروت 2009.
(20) راجع احميده النيفر، النص الديني والتراث الإسلامي قراءة نقدية، فصل الآخر و الهوية و التراحم، دار الهادي ط1 بيروت 2004.

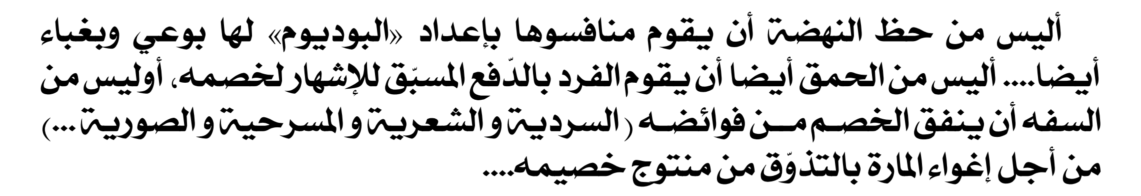


غمزة

عين ...عين الغباء

حركة النهضة التونسية ...حركة منظمة ومهيكلة بشكل كبير إن قورنت بمثيلاتها في الساحة التونسية (القديمة والحديثة)...قادرة على التعبئة وعلى التنظم... تنجح كثيرا في التواصل مع الناس وعلى المستوى الشعبي...

يروّج لها خصومها أكثر ممّا تروّج لنفسها...أكثر اسم حزبي متداول في الإعلام المكتوب و المسموع والافتراضي....خصومها يهذون باسمها بالليل والنهار وفي الغسق، فبين النهضة والنهضة يذكرون النهضة...ومن أقوالهم... « النهضة سبب في الاغتيالات... النهضة سبب في الفساد ... النهضة سبب في فشل الحكومة ... النهضة سبب في فشل الرئيس.. النهضة سبب في تقليص الحريات ... النهضة سبب في الاضطرابات ... النهضة سبب في الفقر وهروب المستثمرين...النهضة..النهضة.. النهضة...الخ ...



أليس من حظ النهضة أن يقوم منافسوها بإعداد «البوديوم» لها بوعي وبغباء أيضا.... أليس من الحمق أيضا أن يقوم الفرد بالدّفع المسبَق للإشهار لخصمه، أوليس من السفه أن ينفق الخصم من فوائضه (السردية و الشعرية و المسرحية و الصورية ...) من أجل إغواء المارة بالتذوّق من منتوج خصيمه....



عبد النبي العوني

لذلك تستغني ...النهضة.. و رويدا رويدا عن بعض وظائف أذرعها الهامة التي كانت توفر لها المخزون الإستشهاري الباهض والذي مكّنها سابقا من التمدّد (مثل الحقل الدعوي)

...فخصومها دعاة أوفياء لاسمها...بل يُرَغِّبون الناس للالتفاف حولها...وهذه لعمري سياسة «ماركتينغ» ناجحة وناجعة وبصفة مجانيَة سوى أن تجعل نفسك في موضع مشتبه و غير متشابه في عين عين خصومك... و تلك هي عين عينهم الحقيقية ... وأدام الله عين عين هذه الفصيلة من المسوِّقين......

ما دام فائض الغباء معمّم بصغتيه..

ـ استاذ و باحث
ouni_a@yahoo.fr

> تستغني النهضة رويدا رويدا عن بعض وظائف أذرعها الهامة التي كانت توفر لها المخزون الإستشهاري الباهض والذي مكّنها سابقا من التمدّد ،فخصومها دعاة أوفياء لاسمها، بل يُرَغِّبون الناس للالتفاف حولها...وهذه لعمري سياسة «ماركتينغ» ناجحة وناجعة وبصفة مجانيّة.



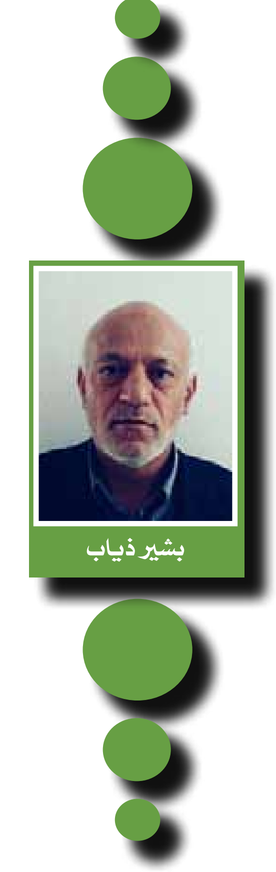
الذكرى 25 لجريمة قصف ملجأ العامرية في بغداد [13 فيفري 1991]

حتّى لا ننسى

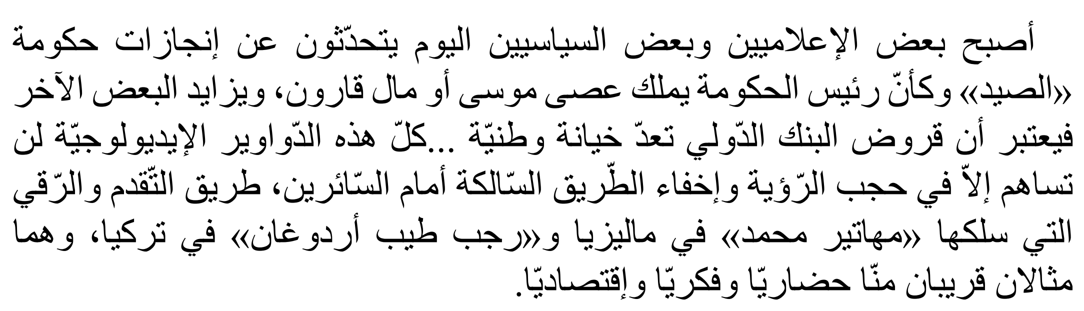
لجأ المواطنون العراقيون من جحيم الحرب والقصف أثناء حرب الخليج الثانية إلى «ملجأ العامريّة» بإحدى ضواحي بغداد وفي الثالث عشر من فيفري 1991 قامت الطائرات العسكرية الأمريكيّة بقصف الملجأ في جريمة حرب بشعة راح ضحيّتها 500 شهيد و 1600 جريح كلّهم من الأطفال والنساء



المنظومة الأخلاقية ..الحلقة المفقودة في رحلة البحث عن الحلول



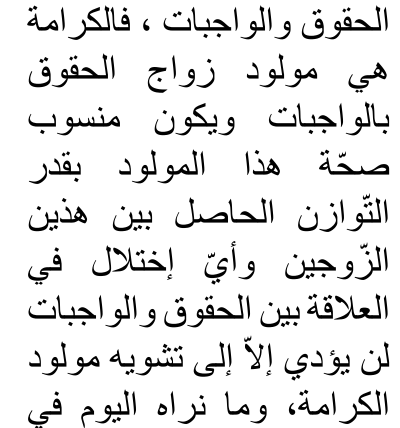
إذا كانت الحكومة بوزرائها وموظفيها، والإقتصاد بمصانعه وآلياته وبناه التحتية والفوقية، والإدارة بمكاتبها وموظفيها ومسؤوليها هي الأثاث المادّي لبيت الدّولة، فإنّ المنظومة الأخلاقية هي النّور الذي يضيء ظلمتها ويضفي ويكشف مواضع الجمال فيها ومواضع الخلل، هذه المنظومة ككلّ المنظومات يجب أن تكون قابلة لمسايرة تطور الحياة الإجتماعية، وبما أنّ الحياة تسير بنسق حثيث نحو التّقدم فإنّ الإنسان الذي لا يتقدّم يتخلّف بالضّرورة، والملاحظ لسيرورة الرّقي الإجتماعي للشّعب التونسي يلاحظ ذلك بكل سهولة، فنسق التّطور العمراني مقارنة بالمجتمعات التي تشبهنا يعدّ بطيئا، ونسق التّقدم العلمي يسير إلى الخلف، أمّا الإقتصاد أو خلق الثّروة بالأساس فهو في مرحلة موت سريري متقدّم، ووسط هذا التردّي تعود بنا النّخب السّياسية والفكريّة لنقاشات بيزنطية حول حرّية الجسد وزواج المثليين، وصلاة الإستسقاء، وغيرها من المواضيع وسط تغييب لطرح منظومة حلول شاملة تأخذ في الإعتبار كلّ المعطيات الدّاخلية والخارجيّة الوطنيّة والإقليميّة والدوليّة.



أصبح بعض الإعلاميين وبعض السياسيين اليوم يتحدّثون عن إنجازات حكومة «الصيد» وكأنّ رئيس الحكومة يملك عصى موسى أو مال قارون، ويزايد البعض الآخر فيعتبر أن قروض البنك الدّولي تعدّ خيانة وطنيّة ...كلّ هذه الدّواوير الإيديولوجيّة لن تساهم إلاّ في حجب الرّؤية وإخفاء الطّريق السّالكة أمام السّائرين، طريق التّقدم والرّقي التي سلكها «مهاتير محمد» في ماليزيا و«رجب طيب أردوغان» في تركيا، وهما مثالان قريبان منّا حضاريّا وفكريّا وإقتصاديّا.

الحديث عن الكرامة الوطنيّة عموما يجرنا لنتساءل عن معنى الكرامة، وعن معنى النضال، ففاقد الشيء لا يعطيه وإذا كان الوطن عموما قد خدشت كرامته بالدّيون الخارجية فلا يمكن لأيّ أحد أن يتحدّث عن كرامته الشّخصية ، فالكرامة الشّخصية هي جزء من الكرامة الوطنيّة شئنا ذلك أم أبينا وإذا أردنا أن تكون لنا كرامة شخصيّة فعلينا أن نحمي كرامتنا الوطنيّة من ذلّ الخصاصة والقروض المباشرة المجحفة، وهذا لن يكون حتما بالإضرابات العامّة ولا بالمزايدات والتّخوين وإنّما يتطلّب منّا وحدة في الوعي تقودنا لوحدة في التّقييم ووحدة في تبنّي الحلول وتحمّل المسؤوليات التي ستنجرّ عن هذه الحلول التي يجب أن يكون دفع الثّمن فيها متناسبا مع مقدار المنافع والإمتيازات الحاصلة من الثّروة الوطنيّة لا أن يكون ككلّ مرّة « الفقراء يكابدون ويدفعون من أجل الأغنياء»،

إذا أردنا أن تكون لنا كرامة شخصيّة فعلينا أن نحمي كرامتنا الوطنيّة من ذلّ الخصاصة والقروض المباشرة المجحفة، وهذا لن يكون حتما بالإضرابات العامّة ولا بالمزايدات والتّخوين.



ولعقلنة الحديث عن الكرامة يتحتّم علينا التّطرق لمسألة الحقوق والواجبات ، فالكرامة هي مولود زواج الحقوق بالواجبات ويكون منسوب صحّة هذا المولود بقدر التّوازن الحاصل بين هذين الزّوجين وأيّ إختلال في العلاقة بين الحقوق والواجبات لن يؤدي إلاّ إلى تشويه مولود الكرامة، وما نراه اليوم في بلادنا من فوضى إجتماعية وإقتصادية وبيئية وصحية وغيرها هو نتيجة هذا الإختلال، إختلال فاضح رجح كفّة الحقوق وغيّب الواجبات بطريقة دراماتيكية، فالكلّ يتحدّث عن الحقوق ويشنّ من أجلها الإضرابات والإعتصامات ويقطع من أجلها الطريق والسكّة ويعطّل المرافق العامّة أمام مصالح المواطنين ويقطع من أجلها شريان الإقتصاد الوطني المتمثّل في إنتاج الفسفاط ولا يرى مانعا في إيقاف القطار في الرّبع الخالي وتشريد النّساء والأطفال والشّيوخ في حرّ الصيف، وكل هذا وغيره كثير يسمّيه المسؤولون النّقابيون تراكمات من النضال النقابي، وهذه الحقوق هي قانونيّة ودستورية كفلها الدّستور العظيم دون أن يكفل للمتضرّرين منها حقوقهم الدّستورية المحمولة على هؤلاء والتي تعدّ واجبا يفترض النّهوض به قبل المطالبة بالحقوق، لذلك قلنا منذ البداية أنّ المنظومة الأخلاقية بكل أبعادها يجب أن تراجع، فلا يمكن الحديث عن الكرامة أو التقدم أو النهوض قبل أن نعترف ودون مكابرة أنّنا نعيش أزمة أخلاقيّة حادّة ولسنا بحاجة لبحث أكاديمي لإثبات ذلك، فمجرد زيارة لأحد المستشفيات العموميّة والوقوف على القصور الفاضح في الإخلال بالقيام بالواجبات تجاه المرضى وما تتعرّض له الكرامة الإنسانيّة هناك من إهانات يغنيك عن كثرة البحث والتنظير، ووضعنا البيئي المتردّي هو أيضا مشكلة أخلاقية بالأساس قبل أن تكون مشكلة تجهيزات، والوضع المتردّي لقطاع التعليم مثلا لن يتحسن بزيادة أجور الأساتذة، فقد صرفت زيادات مشطّة وإمتيازات لقطاعات أخرى لكنّها لم تتطور بل زادت تأزّما وتخلّفا.

> لعقلنة الحديث عن الكرامة يتحتّم علينا التّطرق لمسألة الحقوق والواجبات فالكرامة هي مولود زواج الحقوق بالواجبات ويكون منسوب صحّة هذا المولود بقدر التّوازن الحاصل بين هذين الزّوجين وأيّ إختلال في العلاقة بين الحقوق والواجبات لن يؤدي إلاّ إلى تشويه مولود الكرامة.

القوانين واللوائح جاءت لتنظّم الحياة ولتحدّ من التّجاوزات من بعض الأفراد المتمرّدين عن القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة الجامعة للمجتمع، أمّا إذا انخرمت المنظومة الأخلاقية أو المنظومة القيميّة في المجتمع ويتعوّد النّاس على دوس القيم والأخلاق، فإنّ القوانين واللّوائح تصبح غير ذات جدوى، ولكن كي لا نبالغ في التّشاؤم نقول أنّ ما بلغناه اليوم من انخرام في المنظومة الأخلاقيّة لا يمكن أن يقارن بما بلغته الجزيرة العربية أيام الجاهليّة ورغم ذلك قال الرّسول الكريم يومها « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالمجتمعات لا يمكن أن تخلو من مكارم الأخلاق، ولكن فساد الأخلاق وتدني القيم هو بمثابة جرثومة على قلّة شأنها من النّاحية الكمّية إلاّ أنّها يمكن أن تشلّ جهازا بكامله،

> **لا يمكن الحديث عن الكرامة أو التقدم أو النهوض قبل أن نعترف ودون مكابرة أننا نعيش أزمة أخلاقيّة حادّة.**

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

فالرّسول الكريم لم يقل أنّه جاء ليقوم بثورة إقتصاديّة في الجزيرة العربيّة أو بثورة علميّة أو بثورة إجتماعيّة وهو ما حدث فعلا ولكنّه نتيجة للثورة الأخلاقيّة والقيميّة التي جاء الرّسول الكريم من أجل إتمامها.

لإعادة الدّورة الأخلاقية إلى مدارها الصّحيح يجب أن يوضع الحصان أمام العربة، يجب أن تكون السّلط الحاكمة أيّا كان ترتيبها مركزيّا وجهويّا ومحليّا هي القاطرة الأولى لممارسة القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة ثمّ على السّلطة التنفيذية أو الحكومة ومجلس النواب إعادة رسم الحدود ليلعب كلّ لا عب في مربعه وإعادة تشغيل المنظومات القانونيّة داخل الإدارات والمرافق العموميّة والبحث في منظومة رقابة جديدة على المسؤولين داخل المؤسّسات العموميّة كي يتحمّلوا مسؤوليّة التّجاوزات التي يرتكبها مرؤوسيهم والتي من أجلها يتقاضون مرتّبات وإمتيازات خياليّة أحيانا، وأن تتحلّى الحكومة بالواقعيّة وعدم بناء قصور من الرّمال.

أخيرا أقول أن جهد الحكومة وحدها لن يخرجنا من الأزمة الحالية مهما كانت كفاءة الوزراء، الخروج من الأزمة يجب أن يكون مجهودا وطنيا يتبنّاه الجميع ويضحّي من أجله الجميع ويتقاسم نتائجه « سلبية كانت أو إيجابية» الجميع، ولكن أقول في النهاية أنه ما دامت المنظومة الأخلاقية والقيمية وعلى رأسها قيمة العمل ليست على طاولات الإعلامين والمفكّرين والسّياسيين، فإنّنا لن ننتظر طفرة إقتصاديّة أو علميّة أو إجتماعيّة ولن ننتظر صدقا في القول ولا إخلاصا في العمل كما قال الشّاعر التونسي منور صمادح «شيئان في بلدي خيبا أملي ...الصدق في القول والإخلاص في العمل»

وإذا كان منور صمادح عنى بهذه الأبيات الطّبقة الحاكمة أو الزّعيم بورقيبة بالذّات فإنّها اليوم تنسحب على كلّ موظف حكومي أيّا كان مركزهم الوظيفي .

ـ أستاذ
bechir_dhieb@yahoo.fr



أن جهد الحكومة وحدها لن يخرجنا من الأزمة الحالية مهما كانت كفاءة الوزراء، الخروج من الأزمة يجب أن يكون مجهودا وطنيا يتبنّاه الجميع ويضحّي من أجله الجميع ويتقاسم نتائجه « سلبية كانت أو إيجابية» الجميع.



الذكرى 5 لاندلاع الثورة الليبية
[17 فيفري 2011]



الواقع الاقتصادي وآفاقه [1]
«النمو الاقتصادي»



تمهيد

سنهتم في سلسلة من المقالات المتتالية بالحالة الاقتصادية والاجتماعية لبلدنا وسنعتمد منهجيّا على كلّ من التّقارير التي أعدّتها المنظمات الدّولية والدّراسات التي قامت بها الجهات المُختصة واستطلاعات الرّأي لنقف بشكل فيه قدر كبير من الموضوعيّة عند الحالة الاقتصادية والاجتماعية التونسية واتجاهها مُستقبلا وإذا أضفنا لذلك شيئا من المُقارنة مع سنة نتّخذها مرجعا نكون قد نسبّنا الحالة بما يدفعُنا إلى البحث فيما يجب فعله إزاءها.

أما مضموننا فإنّنا سنُسلط الضوء تباعا على مؤشّرات اقتصاديّة وأخرى اجتماعيّة نقديّة ماليّة وجبائيّة وسنتّخذ السّنة التي اندلعت في آخر أيامها الثّورة التّونسية سنة مرجعا حتى نقف عند تطور الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة طيلة الخمس سنوات الأخيرة لنستخلص ما يجب على جميع الأطراف تحمل المسؤولية تُجاهه وفعل ما يجب فعله حفاظا على هذا الوطن وعلى ثورته التي مكنت الجميع وبدون استثناء من الحرية.

وتُعتبر الحرية عند الجميع (إلا من أبى) الإطار الأمثل للعمل قولا وفعلا بما يُحقق ما لم تقدر الأنظمة السّابقة على تحقيقه من مُصالحة مع الذّات ومناعة ضد المخاطر المُحدقة بنا داخليّا وإقليميّا ودوليّا وإنتاج الثّروة القادرة مع عدالة توزيعها على مُحاصرة كلّ من الفقر والبطالة.



النّمو الاقتصادي :

يعكس النّمو الاقتصادي القيمة المُضافة التي يُولّدها النّشاط الاقتصادي سنويّا من خلال الجانب الكمّي لعملية الإنتاج سلعا وخدمات وقد سجّلت نسبة النمو السّنوي ببلدنا تراجعا حادّا سنة 2011 ما لبث أن تخلّص منه الوضع الاقتصادي سنة 2012 ليعود لمستواه الذي سجله سنة 2010 بمعدل فاق 3.5 % مما عكس إرادة سياسيّة قوية حينها لرفع تحدّي النّمو الاقتصادي في زمن قياسي كما برهن عن قُدرة اقتصادنا على سُرعة التعافي.

وأبت الإرادة المُضادة (إرادة الهدم) إلاّ أن تقلب الأوضاع وبسُرعة ليبدأ مسار التّراجع ثانية حتى وصل سنة 2015 إلى نسبة لم تتجاوز 0.8 % حسب المعهد الوطني للإحصاء.

سجّلت نسبة النمو السّنوي ببلدنا تراجعا حادّا سنة 2011 ما لبث أن تخلّص منه الوضع الاقتصادي سنة 2012 ليعود لمستواه الذي سجله سنة 2010 بمعدل فاق 3.5 % مما عكس إرادة سياسيّة قوية حينها لرفع تحدّي النّمو الاقتصادي في زمن قياسي كما برهن عن قُدرة اقتصادنا على سُرعة التعافي.



أما ما يخُصّ قادم السّنين فقد اعتبر صندوق النّقد الدولي في تقريره الأخير سنة 2016 سنة صعبة نظرا لأنّها هي الأخرى سنة انتقالية وقدّر أن نسبة النّمو فيها لن تتجاوز 2.5 %.

كما قدّر أن نسبة النّمو طيلة السنوات الأربعة القادمة (2017-2020) ستُسجّل قفزة بمعدل 4.3 % سنويا وذلك بمستوى 4 % سنة 2017 و4.6 % سنة 2018 و 5 % سنة 2019 ثم 4.7 % سنة 2020.

وقد برهن صندوق النقد الدولي هذه التقديرات المُشجعة بما يلي :

* التراجع الحادّ للسّعر العالمي لبرميل النّفط الذي بلغ نسبة 60 % والاتّجاه نحو الإبقاء على السّعر المنخفض بعد العودة المُنتظرة لمنتجين كبار لسوق النّفط كإيران والعراق وفقا لقاعدة العرض والطلب.

* اعتبار الصّندوق أنّ ما تمّ من إعادة رسملة البنوك العموميّة وما صاحبه من تقوية للحوكمة والشّفافية وتعميق الإصلاح الجبائي والمتضمن في قانون المالية 2016 وكذلك سنّ قانون التّنافس وقانون شراكة العام والخاصّ(PPP) سيكون له أثر ايجابي على النّمو في بلدنا فضلا عن قوانين أخرى كمجلة الاستثمار من المُنتظر أن تُساهم بشكل فعّال في دفع عملية الاستثمار المُحرك الأول لإقتصادنا.

* ما ينتظره الصندوق من قيام تونس بإصلاحات هيكليّة من شأنها أن تطوّر مناخ الأعمال وتحدّ من تدخّل الدولة في مجال الأعمال.

* تطوّر المناخ الدّولي ونسبة النّمو المُنتظرة والمُقدرة بـ 1.6 % سنة 2016 لدى المنطقة الأوروبية الوجهة الأهم للصّادرات التّونسية ممّا سينشط الصّادرات التّونسية المُحرك الثاني لاقتصادنا.

* انتظار عودة القطاع السّياحي لتألّقه وتراجع الأسعار العالميّة للمواد الغذائيّة والطّاقة ممّا يُنبئ بتنشيط الاستهلاك المُحرك الثالث للاقتصاد.



اعتبر صندوق النّقد الدولي في تقريره الأخير سنة 2016 سنة صعبة نظرا لأنّها هي الأخرى سنة انتقالية وقدّر أن نسبة النّمو فيها لن تتجاوز 2.5 %.
كما قدّر أن نسبة النّمو طيلة السنوات الأربعة القادمة (2017-2020) ستُسجّل قفزة بمعدل 4.3% سنويا وذلك بمستوى 4 % سنة 2017 و4.6 % سنة 2018 و 5 % سنة 2019 ثم 4.7 % سنة 2020.



استنتاجات

- لاقتصادنا قُدرة على سُرعة التعافي،
- الإرادة السّياسية القويّة مطلوبة لرفع تحدّي النّمو الاقتصادي،
- الحيلولة دون كلّ ما من شأنه أن يُعطل آلة الإنتاج،
- تقديرات صندوق النّقد الدّولي مُشجّعة على الاستثمار سواء الدّاخلي منه أو المُباشر

تقديرات صندوق النّقد الدّولي مُشجّعة على الاستثمار سواء الدّاخلي أو المُباشر الخارجي والتّصدير خاصّة في اتجاه المنطقة الأوروبيّة وكذلك على الاستهلاك ممّا سيجعل اقتصادنا يتعافي ويسترجع نشاطه باعتبار أنّ كل من الاستثمار والتّصدير والاستهلاك هم مُحركات الاقتصاد



الخارجي بصفة أخصّ والتّصدير خاصّة في اتجاه المنطقة الأوروبيّة وكذلك على الاستهلاك ممّا سيجعل اقتصادنا يتعافي ويسترجع نشاطه باعتبار أنّ كل من الاستثمار والتّصدير والاستهلاك هم مُحركات الاقتصاد.

سؤال : هل أن إنتاج الثروة كاف لمُحاصرة الفقر والبطالة ؟

إنّ كان الاستثمار أحد المُحركات الرئيسية للاقتصاد وأحد عناصر فهم الزيادة في نسب النمو الاقتصادي وما تعنيه من إنتاج إضافي للثّروة فهل أنّ الدّول التي عرضت فُرصا هائلة للاستثمار والمستثمرين في بلدها وحقّقت نسب نمو مُرتفعة قدرت على مُحاصرة الفقر والبطالة؟

في سنة 1980 أُطلق ولأول مرّة «أنطوان فان أغتمايل»(Antoine van Agtmael) وهو اقتصادي هولندي من البنك الدولي صفة «الصاعدة» على الدّول التي تعرض فُرصا هائلة للاستثمار والمستثمرين في بلدانها. وقد كان لكل زمن دولة أو دول صاعدة ، ففي أواخر القرن التّاسع عشر صعدت كلّ من ألمانيا لتصل بعد ذلك الصّعود إلى مرحلة التّنمية وكذلك الحال بالنّسبة لليابان في ستّينات القرن الماضي ثم عرفت العشريّة التي تلتها صعود التّنين الآسيوي المتكوّن من كلّ من كوريا الجنوبية وتايوان وهون كونغ وسنغافورا والتي اعتبرت منذ تسعينات نفس القرن ممّن توّجوا صعودهم بإحداث تنمية.

ولم تعد التّنمية اليوم اقتصاديّة فحسب بما هي عملية تُحدث «تغييرات ذهنية وهيكلية من شأنها أن تجعل الشعوب أكثر قدرة على الزيادة الدائمة لإنتاجها الحقيقي العام» كما عرفها الاقتصادي الفرنسي «فرانسوا بيرو» منذ خمسينات القرن الماضي، بل هي تنمية مستدامة تشمل البشر واجتماعه والبيئة التي يَحْيَى ضمنها ونشاطه الاقتصادي والثقافي...بما يضمن شروط الحياة الكريمة لهم من صحّة وتعليم وتلبية للحاجات المادية والمعنوية للإنسان وما يعنيه ذلك من احتواء للفقر والبطالة.

وفي المقابل فإن صعود من عُرفوا بنمور آسيا سنة 1981 كماليزيا واندونيسيا والفيليبين والفياتنام وصعود مجموعة أُطلق عليها إسم «البريكس» (BRICS) سنة 2001 والمتكونة من البرازيل وروسيا والهند والصين وإفريقيا الجنوبية لم يُتوّج بإحداث تنمية.



لم تعد التّنمية اليوم اقتصاديّة فحسب بما هي عملية تُحدث «تغييرات ذهنية وهيكلية من شأنها أن تجعل الشعوب أكثر قدرة على الزيادة الدائمة لإنتاجها الحقيقي العام» بل هي تنمية مستدامة تشمل البشر واجتماعه والبيئة التي يَحْيَى ضمنها ونشاطه الاقتصادي والثقافي.



استنتاجات

كما تُوّج صُعود دُول بتحقيق تنمية في بلدانها وما يعنيه من تمكنها من احتواء ظاهرة الفقر والبطالة لم تحدث تنمية في دول أخرى صاعدة مما يُؤكد حقيقة مفادها أن الصُّعود لا يعني بالضرورة تحقيق التنمية وبالتالي احتواء كل من الفقر والبطالة ويطرح تساؤلا جوهريا : «ما العائق الحقيقي وراء إخفاق الصعود (زيادة في نسب النمو الاقتصادي عبر ما تعرضه بلدنا من فرص هائلة للاستثمار والمستثمرين) في تحقيق التنمية بما تعنيه من محاصرة للفقر والبطالة ؟ هذا ما سنوضّحه في المقال القادم إن شاء الله.

- رئيس مركز الدراسات التنموية
najmghorbel@gmail.com

تُوّج الصُعود الاقتصادي بتحقيق تنمية في بعض الدول وما يعنيه من تمكنها من احتواء ظاهرة الفقر والبطالة لكنّه لم يحدث تنمية في دول أخرى صاعدة.





شمس الدين خضري

ماذا نحتاج بعد الاحتجاج:
رسالة الشباب الى «الشيابـ»

بعد الاحتجاجات و المظاهرات و المسيرات التي بدأت سلمية للمطالبة بالتشغيل بالأساس ثم تحولت الى أحداث عنف و حرق و تخريب و سرقة، تسائل أغلب الشعب بجميع مكوناته عن سبب هذا الإنفجار الإجتماعي الذي إنطلق من القصرين ليشمل بقية مناطق البلاد و هل هي فعلا رسالة تنبيه و تحذير للطبقة السياسية بأنّ الشعب سئم فعلا من كل هذا الوضع و بلغ منه اليأس لدرجة اللاعودة و بالأخص هي رسالة من شباب تونس الذي خرج ليحتج عن حقه بالعمل و الحياة الكريمة في كافة جهات الجمهورية، و السؤال الأبرز هل إتعظ السياسيون ممّا حصل وممّا قد يحصل في المستقبل من إنتفاضة ثانية وهل وعوا بأن المشكل يكمن في غياب الثقة و معها غياب البرامج وغياب لخطاب صادق يخاطب الوعي الشعبي و الشبابي خاصة. فمثلا، بماذا سيستفيد الشّباب من صراعات الأحزاب الداخلية وخاصة الحزب الحاكم الذي أنتخب من أجل حل المشاكل فإذا به يتخبط في المشاكل تلو المشاكل ويضيع في متاهة لن يخرج منها؟ وماذا يهم الشباب في الصراع الإيديولوجي القائم بين علمانيين و حداثيين من جهة و إسلاميين من جهة ثانية؟ ما دخلنا نحن في صراع منذ سبعينات القرن الماضي لنعيد نسخه مرة أخرى في واقعنا الحالي و كأنه قد كتب علينا أن نعيش الصراع كما عاشه أباؤنا ثم ننقله لأبناءنا؟ وهل المطلوب من الشباب أن ينسى الأهداف النبيلة لإنتفاضة 17 ديسمبر المتمثلة في المطالبة بالشغل و الحرية و الكرامة الوطنية؟ و كم يجب علينا الإنتظار لنرى بداية تحقيق هذه الأهداف؟

علينا بالعمل الجاد و الكف عن المهاترات السّياسية الفارغة التي لا تجدي نفعا و لنتجاوز القرارات المؤقتة والترقيعية بقرارات مبنيّة على نظرة ورؤية إستراتيجية حقيقية وبرنامج عملي وواقعي ينهض بالبلاد ويحقق الرفاهية للعباد بعيدا عن المزايدات السياسية. لنعالج بصدق مشاكل التفاوت الجهوي و الفساد الإداري و إنهيار البنية التحتية و تدنّي المستوى التعليمي، ليس بالندوات والمؤتمرات ، بل بالتحلّي بالإرادة الصادقة و العمل الدؤوب والرؤية الواضحة حتّى نكسب ثقة الشعب عامة والشباب خاصة . ذلك الشباب الذي أصبح يكره كل شيء في بلده بسبب ما يراه من إستيلاء «الشياب» على الكراسي و المناصب، ولهذا كل ما يحتاجه هذا الشباب اليائس هو بعض الأمل و منحه الثقة ليتولى المسؤولية ويكون صاحب القرار في بلده كما يرى ذلك في البلدان المتقدمة وهذه هي الرسالة الحقيقية لشبابنا اليوم فمتى تفهمون الرسالة.

- باحث
khadhri.chamsedine@gmail.com

الاسهام الإسلامي الحضاري في الغرب حاضرا ومستقبلا [2]

تطرقنا في المقال السابق إلى كيفيّة مساهمة المسلمين عموما والفكر الاسلامي خصوصا في إعادة التوازن بين المادّي والروحي للإنسان الأوروبي عبر تصحيح التصورات والمفاهيم وسنحاول التطرق في هذا الجزء الثاني والأخير إلى كيفية تحقيق التقارب الثقافي وتنشيط الحوار الحضاري بين العالمين الإسلامي والغربي بالإضافة إلى كيفية المساهمة في تحويل الإسلام إلى مطلب حضاري بعد ترتيب البيت الداخلي وإنشاء المؤسسات المتخصصة.

(2) تحقيق التقارب الثقافي والحوار الحضاري


د. محمد الغمقي

إذا علمنا أنّ تحقيق التقارب الثقافي والحوار الحضاري بين العالمين الإسلامي والغربي يعتبر من مقومات النهضة الحضارية العالمية حالياً وفي المستقبل؛ فإنّ الحضور الإسلامي في أوروبا وفي الغرب يمثّل جسر علاقة العالم العربي الإسلامي بالعالم الغربي. وتعتبر الطليعة المسلمة المثقفة المحرّك الأوّل الدافع إلى التصالح بين الثقافتين والحضارتين، والعامل الأساس في نزع فتيل الصراع الحضاري، الذي تتمناه العديد من الدوائر السياسية والفكرية، وتسعى إلى تحقّيقه بكل ما أوتيت من جهد.

ويكون الإسهام الحضاري للمسلمين في هذا المجال ذلك بـ:

1.2 تصحيح النظرة إلى الطرف الآخر

إن تصحيح نظرة كل طرف للطرف الآخر هو المدخل الأساس للحوار الحضاري. ولا يتم ذلك إلا عن طريق التعارف المتبادل، لأنّه كما يقال « الإنسان عدوّ ما يجهل». والعديد من العداوات والخصومات ناتجة عن تراكم النظرة النمطية والأحكام المسبقة الجاهزة والموروثة.

إن دور المسلمين – والكفاءات من بينهم خصوصا- عظيم في تقليص أسباب التوتّر وسوء التفاهم بين العالمين الإسلامي والغربي عن طريق تصحيح الصّورة المشوّهة لكل طرف عن الطرف الآخر. فهذا الدور التصحيحي لا يوفّر مقومات وشروط التقارب الثقافي والحوار الحضاري إلا إذا تمّ في الاتجاهين.

فالغرب بحكم اعتماد مبدأ التخصص في أصغر الجزئيات، لم يترك شاردة ولا واردة إلا وأعطاها اهتماما خاصّا. وهذا يعني أن القضايا التي تبدو خاصّة بواقع المسلمين وأسلوب تفكيرهم ونظرتهم للحياة، تخضع بدورها ومنذ عقود إلى التشريح والتّحليل والدّراسة المعمّقة في مراكز البحوث والجامعات، في إطار ما يطلق عليه البعض الاستشراق المعاصر نسبة إلى ظاهرة الاستشراق التّاريخية التي أفرزت أدبيّات تحمل في معظمها صورة سلبيّة عن الإسلام والمسلمين، تحوّلت إلى أحكام مسبقة وصور نمطية سائدة إلى اليوم، وتمثّل عائقا أمام الحوار الحضاري بين الطّرفين.

يكون تقليص أسباب التوتّر وسوء التفاهم بين العالمين الإسلامي والغربي عن طريق تصحيح الصّورة المشوّهة لكل طرف عن الطرف الآخر. وهذا الدور التصحيحي لا يوفّر مقومات وشروط التقارب الثقافي والحوار الحضاري إلا إذا تمّ في الاتجاهين.



ومن جانبهم، فإنّ المسلمين يحملون أحكاما مسبّقة فيها أحيانا شطط وتعميم، والمطلوب تصحيح الصّورة المشوّهة عن الغرب باعتماد مبدأيْ القسط والعدل.

2.2 إرساء نهج التدافع الحضاري

ويرتبط بتصحيح النظرة للآخر اعتراف كل طرف بالعطاء الحضاري للطرف المقابل دون أن يمنع ذلك من تقديم انتقادات علمية وموضوعية لسلبيات وأخطاء في المسار الحضاري.



إنّ أكبر خدمة يقدّمها المسلمون اليوم في مجال الإسهام الحضاري هي رفع سقف الوعي بمدى ضرورة التّعامل بندّية بين مختلف الأطياف والمكوّنات الثقافية والحضارية في العالم، والتخلّي عن نزعة الهيمنة وحبّ السيطرة بالقوّة على مقدّرات العالم وثرواته وشعوبه.



فمثلما أنّ أوروبا لا يمكنها أن تنكر العطاء الحضاري الذي قدّمه المسلمون للعالم - ولأوروبا خصوصا- في الوقت الذي كانت تلفّها ظلمات القرون الوسطى، فإنّ على المسلمين أيضا الاعتراف بالدّور الأوروبي في النّهضة العالميّة على المستوى الفكري والتكنولوجي. ومثلما أنّ أوروبا تنتقد التّخلف الحضاري للمسلمين في القرون الأخيرة، فإنّ المسلمين ينتقدون نزعة الهيمنة والتّسلط والعدوان في التاريخ الأوروبي والتي عانى منها المسلمون خلال الحروب الصّليبية ومرحلة الاستعمار، وحتى بعد جلاء القوات الاستعماريّة بإحكام نظام تبعيّة القرار العربي-الإسلامي لمصالح القوى الكبرى المسيطرة حاليّا على القرار في العالم.

وأكبر خدمة يقدّمها المسلمون اليوم في مجال الإسهام الحضاري هي رفع سقف الوعي بمدى ضرورة التّعامل بندّية بين مختلف الأطياف والمكوّنات الثقافية والحضارية في العالم، والتخلّي عن نزعة الهيمنة وحبّ السيطرة بالقوّة على مقدّرات العالم وثرواته وشعوبه. ولا تمنع الندّية في التعامل من التنافس ومن التدافع الحضاري بما يخدم مصلحة الإنسان ويعزّز حريته وكرامته.

فالعالم أصبح بمثابة القرية الصغيرة، وكل طرف في حاجة إلى الطرف الآخر، من حيث تبادل الخبرات والمعارف وتحقيق الانفتاح الحضاري.

(3) تحويل الإسلام إلى مطلب حضاري

ولا يتوقف الإسهام الحضاري للمسلمين عند مجال تصحيح التصورات وإصلاح العلاقات، وإنما يتجاوزه إلى بُعد أشمل وأوسع يتمثل في السعي من أجل تحويل الإسلام إلى مطلب حضاري.

ولا غضاضة في الأمر ، فالتبشير بالأفكار يقوم به أصحاب كل الحركات والمذاهب والعديد من الأديان في العالم الغربي وخارجه. والمبشرون المسيحيون والبرهمانيون على سبيل المثال يجدون كلّ ترحيب وتقدير ودعم من جهات رسميّة وغير رسميّة في العالم، وليس هناك ما يمنع المسلمين من الدّعوة والتّبشير بدينهم، والحال أنّه يحمل رسالة رحمة لكلّ البشريّة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين – الآية.

من ناحية أخرى، فإن العالم مرّ بتجارب كثيرة بحلوها ومرّها، وهو يعيش اليوم حالة

لا يتوقف الإسهام الحضاري للمسلمين عند مجال تصحيح التصورات وإصلاح العلاقات، وإنما يتجاوزه إلى بُعد أشمل وأوسع يتمثل في السعي من أجل تحويل الإسلام إلى مطلب حضاري .



من التوتّر واختلال التوازن بسبب الاضطراب في المرجعيات والقيم وسيطرة المادية على العقول، وهو بالتالي يبحث عن الطمأنينة والسعادة، اللتين لم ينعم بهما منذ أن نصّب الإنسان نفسه إلها في الأرض.

وبالتزامن مع هذا الواقع، برزت ظاهرة العودة إلى التديّن، ولكنّها كانت أعمق وأوسع لدى المسلمين الذين مرّوا بقرون من الانحطاط والتخلف. وشدّ هذا الأمر انتباه العالم من حول المسلمين سواء كانوا في العالم الإسلامي أو أقليات في ديار الغرب. وأصبح الإسلام حديث الأوساط الإعلامية والسياسية والدينية والرأي العام في مختلف أنحاء العالم. وتطلعت الأنفس لمعرفة سرّ انتشار هذا الدين، وما لبثت العقول أن اكتشفت عظمة الإسلام وقدرته على العطاء وعلى تحقيق التوازن للفرد والاستقرار والسلم للمجتمع، على الرغم مما يقال هنا وهناك من تشويه للحقيقة الناصعة، فكان أن شهد العالم في العقد الأخير اهتداء قلوب صافية إلى فطرتها ودخول الناس أفواجا في دين الله.

والمطلوب من المسلمين -خاصة أولئك المقيمين في ديار الغرب- أن يواصلوا مسار الدعوة الإسلامية بالتي هي أحسن، بالاستفادة من الوسائل العصرية في الاتصال والإعلام، وبامتلاك القوة المعرفية، حتى يتحوّل الإسلام إلى مطلب حضاري تتطلع إليه النفوس عن قناعة ورضى، ويكون ذلك عن طريق:



المطلــــوب من المسلميــن -خاصة أولئـــك المقيمين في ديــــار الغرب- أن يواصلوا مسار الدعـوة الإسلامية بالتي هـــي أحسن، بالاستفـــادة من الوسائـــل العصريــــة في الاتصال والإعلام، وبامتلاك القـــوة المعرفيـــة، حتى يتحوّل الإســـلام إلى مطلب حضاري تتطلع إليه النفوس عن قناعة ورضى



(1-3) إعداد المشروع الحضاري الإسلامي

كل التصوّرات المستقبلية للعطاء الحضاري الإسلامي في مجالات شتى من شأنها أن تكون باباً للدعوة لرسالة الإسلام في كل مناطق العالم التي توجد بها أقليات مسلمة، وإضافة نوعية لمجهودات العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي من أجل تحقيق مشروع النهضة الإسلامية.

ومعلوم أنّ هذا المشروع يحتاج إلى اجتهاد وفهم دقيق للواقع الذي يتنزّل فيه. وحتى يكون هذا الفهم دقيقاً وشاملاً؛ فإنّ الكفاءات المسلمة في أوروبا والغرب يمكنها أن تساهم في تجديد الفكر الإسلامي، وفي تقديم قراءة عميقة للتراث الإسلامي، ومقاربات للنهضة العلمية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية، بالاستفادة من خلاصة التجربة الغربية الحديثة القائمة على ثقافة التعددية التي تختلف عن ثقافة الأحادية السائدة في كثير من البلاد الإسلامية، وبفضل ما تمتلكه من قدرة على دمج الأدوات المنهجية الإسلامية والغربية في البحث بعد تمحيصها ونقدها، وباستحضار عملية التكامل بين العطاء الحضاري الإسلامي التاريخي والعطاء المستقبلي.

(2-3) إبراز البعد الإنساني في الإسلام

إن البعد الإنساني ركيزة من ركائز الأيديولوجية الإسلامية. وليس من الحكمة التركيز على مسائل فرعية والغفلة عن أبعاد أساسية تكون بمثابة المداخل الرئيسية في الدعوة للرسالة الإسلامية الخالدة. وقد شدّد الإسلام على الأخوّة الإنسانية التي تتجاوز أخوّة العقيدة والدين، وعلى مسؤولية الاستخلاف في الأرض الملقاة على الإنسان. وفي هذا الإطار، يمكن التأكيد على مبدأ التنوّع في إطار وحدة الكيان البشري المخلوق، وهذا التنوّع من إرادة الله سبحانه وتعالى بهدف التعارف المتبادل - لتعارفوا- .

إن البعد الإنساني ركيزة من ركائز الأيديولوجية الإسلامية. وليس من الحكمة التركيز على مسائل فرعية والغفلة عن أبعاد أساسية تكون بمثابة المداخل الرئيسية في الدعوة للرسالة الإسلامية الخالدة.



3.3) إبراز القدوة الحضارية للأمة الوسط

إن الخطاب الهادف والواضح والعلمي لا يكفي وحده للإقناع برسالة الإسلام الحضارية العالمية، بل يحتاج إلى دعم القول بالفعل، وتقديم البرهان على مصداقية قدرة الإسلام على أن يكون مفتاحا لحلّ أزمة القلق الحضاري واختلال التوازن لدى الإنسان وفي محيطه وبيئته. وأفضل وسيلة لبلوغ هذا الهدف هي القدوة - النموذج - خاصة في مجال المعاملات على كل الأصعدة، بالنّظر إلى طبيعة المنظومة الأخلاقيّة الإسلاميّة. ومعلوم أنّ أحد أسباب قوة الإسلام الكامنة فيه يعود إلى منظومته الأخلاقيّة العالية، كما تدلّ عليه شخصيّة الرسول الأكرم عليه وعلى آله أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم - وإنك لعلى خلق عظيم- الآية. ذلك أنّ هذه الأخلاق وهذه القيم مصدرها إلهي وتندرج ضمن منظومة شاملة لجوانب الحياة.

في هذا الإطار، يمكن اعتبار مجال الأسرة – النواة الأساس للمجتمع- النموذج القدوة الذي يمكن أن يكون له التأثير المباشر على من يريد التعرّف على فلسفة الإسلام في الحياة. فالمسلمون في الديار الغربية بإمكانهم الإسهام في تقديم البديل الحضاري الإسلامي بإبراز وحدة الأسرة المسلمة، بفضل الاحترام المتبادل بين أفرادها والعلاقة السامية بين الرجل والمرأة داخل هذا الرباط المقدس، وقيامها على أساس العفّة والطهارة والمودّة والرحمة والتشاور والحوار. وعلاوة على الفضاء الأسري، يعتبر مبدأ حسن الجوار في الإسلام أحد المداخل الهامة للإقناع برسالة الإسلام الحضارية في الحفاظ على السلم الاجتماعي وبأخلاقية الإسلام في التعايش والتعامل مع الآخر. كما أن وقوف المسلمين وقفة حازمة ضد كل مظاهر الظلم مهما كان مصدره وتأكيدهم على مبدأيْ القسط والعدل ولو مع غير المسلم، يساهمان في تعزيز رسالة الإسلام الإنسانية العالمية.



> بإمكان المسلمين في الديار الغربية الإسهام في تقديم البديل الحضاري الإسلامي بإبراز وحدة الأسرة المسلمة، بفضل الاحترام المتبادل بين أفرادها والعلاقة السامية بين الرجل والمرأة داخل هذا الرباط المقدس، وقيامها على أساس العفة والطهارة والمودة والرحمة والتشاور والحوار.

وغني عن القول أن القدوة الحسنة تعني الاجتهاد في مساعدة الأقليات المسلمة في الغرب على أن تكون في مستوى عظمة هذا الدّين ورسالته، وأن يكون المسلمون سفراء بحقّ لدينهم في ديار الغرب، الأمر الذي يحتاج إلى جهود كبرى بالنظر إلى واقع الحال.

من خلال ما تقدّم؛ يتأكّد ما قاله بعض الملاحظين الغربيين: «إنَّ الإسلام من حظّه أن يتفاعل مع الفضاء الغربي، ومن حظّ الغرب أن يوجد فيه الإسلام لكي يكون باباً للخير، بما يوفّره من قيم ورسالة حضارية؛ وإنّ الحضور الإسلامي هو كالغيث النافع، حيث يمكنه أن يكون مفتاحاً للخير.

- أستاذ الحضارة بالمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بباريس
gham_fr@yahoo.fr

> إنَّ الإسلام من حظّه أن يتفاعل مع الفضاء الغربي، ومن حظّ الغرب أن يوجد فيه الإسلام لكي يكون باباً للخير.

بعدوء

أزمة النخب السياسية في تونس

مقدمة:

شهدت تونس مثل العديد من البلاد العربية منذ سنة 2011 تحولات سياسيّة متسارعة، في إطار ما يسمى بالربيع العربي الذي انطلقت شرارته الأولى من مدينة سيدي بوزيد. ومن أبرز مظاهر هذه التّحولات بروز أحزاب سياسيّة عديدة فاق عددها المائة. ويبدو الأمر عاديّا في البداية بإعتبار أنّ النّخب السّياسية كانت متعطّشة لإستثمار هذه «الديمقراطية الناشئة». لكن هذه الأحزاب أقحمت الجميع في صراعات إيديولوجية وسياسية، فانتشرت الخلافات التي تغذّي الفتن، وانقسمت النّخب السّياسية التي كان يفترض أن تكون عنوانا لوحدة الصّف، إنّه صراع المواقع وهوس السّلطة والحكم. فماهي مظاهر أزمة النّخب السّياسية؟ وماهو البديل الأمثل للمحافظة على السّلم الإجتماعي؟

1) مفهوم النخبة و النخبة السياسية :

1-1) مفهوم النخبة:


محمد الطرابلسي

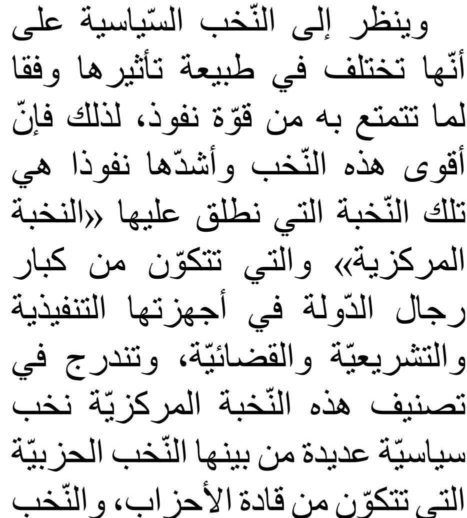
تبدو كلمة «نخبة» من أكثر الكلمات شيوعا بين النّاس، وهي تعني مجموعة من الأشخاص عرفت بتفوّقها العلمي والمعرفي في المجتمع. هي «الصفوة» كما عبر عنها الكاتب «علي حرب» في كتابه «أوهام النخبة أو نقد المثقف». هذا التّفوق الذي تتمتّع به النّخبة على سائر أفراد المجتمع يؤهلها في إعتقاد البعض للتّسيير والقيادة وإدارة الشأن العام بإعتبارها صفوة المجتمع. ويمكن التّمييز في هذه الحالة بين أصناف مختلفة من النخب منها السّياسية التي تتفوّق على الجميع بقدرتها على تسيير شؤون الأحزاب والبلاد والعباد، والدّينية التي تشمل صفوة الباحثين في الدّين وفي العلوم الشّرعية وأكثر النّاس علما بأمور الدّين ومنهم الدّعاة والفقهاء والأئمة وأساتذة الفكر الديني. كما نجد إلى جانب هؤلاء النّخب المثقّفة، الأشخاص الذين يتربّعون على عرش الثّقافة بمختلف فروعها وأشكالها، هم صفوة النّاس في مجال الكتابة والفكر والأدب والفن والنقد والتأويل، ولكن سنقتصر في هذا المقال على موضوع النّخبة السّياسية وأدوارها المختلفة.

1-2) النخبة السياسية:

تعتبر نظريّة النّخبة السّياسية من أهمّ الموضوعات في علم الإجتماع السّياسي، الذي أسّسها كل من «كارل ماركس» و«ماكس فيبر» من خلال دراستهما لتطوّر النّظريات السّياسية وصلة ذلك بالمجتمع.

والنّخبة تعني المختار من كل شيء، باللّغة الفرنسية «Elite»، وتشير هذه الكلمة إلى الفئة الإجتماعية التي يعتقد أنّها الأفضل والأهم من بين غيرها بفضل امتلاكها السّلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل النّخبة الحاكمة، والنخبة المثقفة...

«أقحمت الأحزاب الجميع في صراعات إيديولوجية وسياسية، فانتشرت الخلافات التي تغذّي الفتن، وانقسمت النّخب السّياسية التي كان يفترض أن تكون عنوانا لوحدة الصّف، إنّه صراع المواقع وهوس السّلطة والحكم».



وينظر إلى النّخب السّياسية على أنّها تختلف في طبيعة تأثيرها وفقا لما تتمتع به من قوّة نفوذ، لذلك فإنّ أقوى هذه النّخب وأشدّها نفوذا هي تلك النّخبة التي نطلق عليها «النخبة المركزية» والتي تتكوّن من كبار رجال الدّولة في أجهزتها التنفيذية والتشريعيّة والقضائيّة، وتندرج في تصنيف هذه النّخبة المركزيّة نخب سياسيّة عديدة من بينها النّخب الحزبيّة التي تتكوّن من قادة الأحزاب، والنّخب السّياسية في المدن والقرى المكوّنة من الزّعماء المحليين وأعضاء المجالس المحليّة والقادة المحلييّن.

النّخبة السّياسية هي أقلّية حاكمة تتحكّم في كلّ مفاصل الدّولة وتقابلها أغلبيّة محكومة تسيطر عليها الأقلّية الحاكمة بأساليب قد تكون شرعيّة أو لا تكون كذلك.

2) أزمة النخب السياسية:

كانت النّخب السّياسية قبل ثورة الحرّية والكرامة مكبّلة ومقيّدة، وتعرّضت لإنتهاكات جسيمة من قبل النّظام السّابق الذي رفض كلّ أشكال المعارضة والإختلاف في الرّأي. ومنحت الثّورة قدرا لا بأس به من الحرّية والحقّ في المشاركة السّياسية لهؤلاء السّاسة. وهي فرصة لم يكن يتوقّعها أحد منهم. فقد صنع الشّعب معجزة لم يستطع هؤلاء السّاسة تحقيقها طيلة عقود من النّضال في المهجر أو داخل البلاد. لكن هذه النّخب تعيش اليوم أزمة متعددة الأشكال:

> كانت النّخب السّياسية قبل ثورة الحرّية والكرامة مكبّلة ومقيّدة، وتعرّضت لإنتهاكات جسيمة من قبل النّظام السّابق الذي رفض كلّ أشكال المعارضة والإختلاف في الرّأي. ومنحت الثورة قدرا لا بأس به من الحرّية والحقّ في المشاركة السّياسية لهؤلاء السّاسة. وهي فرصة لم يكن يتوقّعها أحد منهم.



1.2) أزمة الثقة:

عاشت تونس في 23 أكتوبر 2011 أول إنتخابات حرّة ونزيهة بشهادة كلّ الملاحظين، أفرزت مجلسا تأسيسيّا جمع مختلف الأطياف السّياسية وحكومة مؤقتة ورئيس جمهورية توافقي. وقدّم هؤلاء السّاسة في ذلك الوقت برامج اقتصادية واجتماعية بدت للبعض طموحة وواقعيّة في حين أنّها وهمية، الهدف منها استبلاه المواطن. فمنهم من تحدّث عن توفير 400 ألف موطن شغل، ومنهم من تحدّث عن الصّحة المجانية والتّعليم المجاني والنقل المجاني وكأنّهم يملكون عصا سحريّة لهذا البلد.

ولكن بعد الإنتخابات تغيّرت المعطيات وأصبحوا يبرّرون فشلهم في الوفاء بالوعود بأنّهم انتخبوا من أجل إعداد دستور جديد للبلاد في مدّة لا تتجاوز السّنة، وأصبح الكلّ يتحدث بأنّهم لا يملكون عصا سحريّة كثيرا ما صدعوا رؤوسنا بها أثناء الحملة الإنتخابيّة. وبذلك أصبحت ثقة عموم النّاس في ممثليهم تتلاشى تدريجيّا إلى أن أصبح السّياسي في نظرهم رمزا للكذب والمغالطة والمماطلة. وتسارعت الأحداث زمن حكم « الترويكا»، وتجاوزت المدّة المتّفق عليها، فتعدّدت الصراعات الإيديولوجية والمناكفات داخل المجلس التأسيسي وخارجه بين من يمثّل اليسار ومن يمثّل اليمين ومن يمثّل الوسط، « فيكفي أن نقرأ الجرائد



> **النّخبة السّياسية هي أقلّية حاكمة تتحكّم في كلّ مفاصل الدّولة وتقابلها أغلبيّة محكومة تسيطر عليها الأقلّية الحاكمة بأساليب قد تكون شرعيّة أو لا تكون كذلك.**

أو نشاهد البرامج الحواريّة الصّاخبة حتى نكتشف ما فيها من خطابات مشحونة بالعنف والتّعصب، مملوءة بالكره والتّباغض، موسومة بشيطنة الآخر المختلف»، بدل الإنكباب على مشاغل الشّعب الرئيسيّة التي من أهمها التّشغيل والتّنمية.
وأصبح الخطاب السّياسي في تونس مشحونا بمشاعر الحقد والكراهية، يعتمد على منهجيّة الشّيطنة وتبادل التّهم، وكانت الحكومة عاجزة على إدارة الخلافات والإختلافات. واقتصر دورها على تسيير الأمور أو تسوية وضعيات مهنية موروثة. وهذا الأمر يقودنا حتما إلى الحديث عن أزمة في الخطاب السّياسي عزّزت حالة انعدام الثّقة بين السّياسي وعامّة النّاس. فقد كشف البارومتر السّياسي لشهر جوان 2015 الذي أنجزته مؤسّسة «سيغما كونساي» أنّ 71 % من المستجوبين يرون أنّ البلاد تنتهج الطريق الخطأ، فيما عبّر 69.3 % منهم عن عدم رضاهم على الطّريقة التي يتمّ بها تسيير شؤون البلاد.

2.2) أزمة الخطاب السياسي:

عرف عن الشّعب التونسي عبر التاريخ، الوسطيّة والإعتدال والتسامح، وحتى ثورة 17 ديسمبر تمّيزت ببعدها السّلمي، ولكن أغلب النّخب السّياسية لم تكن في مستوى الحدث بإعتبار أنّ خطابها المحكوم بالشعبويّة وشيطنة الآخر لم يرق إلى تطلّعات الشّعب. وبدأ العنف السياسي يأخذ منحى خطيرا في البلاد، كانت حصيلته دموية، إغتيالات وإرهاب ذهب ضحيتها بعض الرموز السياسية لعل أبرزها « شكري بلعيد» و«محمد الإبراهمي» ورجال أمن وعسكريين. وإلى حدّ الآن لم يقع مصارحة الشّعب بحقيقة ما حدث.

> يلخَص محمد عابد الجابري أزمة الخطاب السّياسي بأنّها أزمة صراع بين الأصالة والمعاصرة وبين الشرق والغرب قائلا :« إنّ السّاحة الثقافية العربية الرّاهنة التي يتكوّن فيها العقل العربي المعاصر ساحة غريبة حقّا، وأن القضايا الفكريّة والسّياسية والفلسفيّة و الدّينية التي تطرح فيها للإستهلاك والنقاش قضايا غير معاصرة لنا.

إنّ أزمة الخطاب السّياسي يلخّصها محمد عابد الجابري في كتابه «بنية العقل العربي» بأنّها أزمة صراع بين الأصالة والمعاصرة وبين الشرق والغرب قائلا :« إنّ السّاحة الثقافية العربية الرّاهنة التي يتكوّن فيها العقل العربي المعاصر ساحة غريبة حقّا، وأن القضايا الفكريّة والسّياسية والفلسفيّة و الدّينية التي تطرح فيها للإستهلاك والنقاش قضايا غير معاصرة لنا، إمّا قضايا فكر الماضي بكلّ سلطاته وقيوده، أو قضايا فكر الغرب التي قطعت من أصولها وأخرجت من ديارها وأصبحت متشرّدة وأحيانا لقيطة تفتقر إلى كل الذي يعطيها معناها». هذه الخلفية الفكريّة التي تبرّر أزمة الخطاب السياسي، تزامنت مع دعوات لإجهاض التّجربة الديمقراطية في تونس خاصّة بعد الإنقلاب الدموي الذي حصل في مصر. وحتى الحوار الوطني الذي كان ينتظر منه الشّعب إجراءات عملية، كان حوارا أعرجا وإطارا عامّا لإنقلاب أبيض. ونتيجة للخطاب السياسي المتأزم، أصبح الناس يعتقدون أنّ همّ السّياسي الوحيد هو الكرسي الذي يجلس عليه في الحكومة أو مجلس نواب الشّعب. ولقد ازداد الخطاب السياسي سوءا بعد نجاح نداء تونس في الإنتخابات الأخيرة، حيث اتضح للجميع بعد أن دبّ الخلاف داخله أنّه حزب برنامجه الوحيد الإستحواذ على السلطة، وليس تقديم بدائل للنهوض الإقتصادي والإجتماعي. إنها نخب سياسية مفلسة تخوض صراعا من أجل التموقع الدائم في سدّة الحكم لا غير .

3) رسالة مفتوحة إلى كلّ السياسيين:

إن الأحداث الأخيرة التي عرفتها تونس، والتي انطلقت شرارتها الأولى هذه المرّة من القصرين، هي دليل واضح على فشل خطابكم السّياسي، فقد تزعزعت الثّقة التي منحها

> **تمّيزت ثورة 17 ديسمبر ببعدها السّلمي، لكن أغلب النّخب السّياسية لم تكن في مستوى الحدث بإعتبار أنّ خطابها المحكوم بالشعبويّة وشيطنة الآخر لم يعبّر عن الوسطيّة والإعتدال والتسامح التي عُرف بها التونسيون عبر التاريخ.**

لكم الشّعب،وأصبح الأمر خطيرا يهدّد تجربتنا الديمقراطية ولهذا السبب عليكم:

3ـ1) بلورة المشروع الوطني على أرض الواقع الذي نص عليه الدستور الجديد:

بمراعاة الأبعاد التالية:

- البعد الفردي: وهو أن يجد الفرد ذاته المنفردة داخل هذا المشروع، فالفرد اليوم يعيش مأزق، لديه إحساس بالغربة في وطنه لأنّه لم يجد ما ينتظره من النّخب السّياسية.
- البعد الجهوي: وهو أن يجد الفرد في هذا المشروع محيطه الإجتماعي والجغرافي والثقافي والتاريخي والإقتصادي والسّياسي.
- البعد الوطني: وذلك بمراعاة خصوصية التونسي الثقافية والدينية والإقتصادية.
- البعد الكوني: بإعتبار أن التونسي جزء من هذا العالم المتغير، بعد يراعي تلاقح الحضارات والثقافات عبر العصور.

3ـ2) عليكم بالبعد عن «الشعبوية» في خطابكم السياسي :

وذلك بإعادة النظر في خطابكم السّياسي وتحويل شكله ومضمونه الجامد إلى خطاب حيّ يتماشى مع الزّمان والمكان الذي نحيا فيه والقطع مع الخطاب الخشبي الذي تعتمدونه من أجل مغالطة المواطن للفوز بصوته في الانتخابات.



أيها السياسيون إنّكم تستعملون مفاهيم لا علاقة لها بهموم الشعب، مفاهيم عامة وكلام إنشائي لا يصلح الا للتسويق الإعلامي، مثل مفاهيم التنمية المتوازنة والعدالة الإجتماعية والحداثة، مفاهيم نخبوية تفتقد للشرعية الإجتماعية، إنّ الشعب يريد أفعالا على أرض الواقع لا أقوالا



تستعملون مفاهيم لا علاقة لها بهموم الشعب، مفاهيم عامة وكلام إنشائي لا يصلح إلا للتسويق الإعلامي، مثل مفاهيم التنمية المتوازنة والعدالة الإجتماعية والحداثة، مفاهيم نخبوية تفتقد للشرعية الإجتماعية، إنّ الشعب يريد أفعالا على أرض الواقع لا أقوالا. ولن يتحقّق ذلك إلاّ برد الإعتبار لمختلف الفئات الإجتماعيّة وخاصّة منهم خريجي الجامعات وصغار الفلاحين وصغار التجار والعامل البسيط حتّى نعيد بناء طبقة متوسّطة نتمكن من خلالها تحقيق التوازن الإجتماعي.

ولا تنسوا قول الكواكبي في طبائع الإستبداد: « يا قوم، أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، فقد كفى ما فعل ذلك على أيدي المثيرين، وأجلكم من أن لا تهتدوا لوسائل الإتحاد وأنتم المتنورون السّابقون، فهذه أمم أوستريا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق وأصول راسخة للإتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والإرتباط السّياسي دون الإداري. فما بالنا نحن لا نفتكر في أن نتبع إحدى تلك الطرائق أو شبهها. فيقول عقلاؤنا لمثيري الشحناء من الأعجام والأجانب: دعونا يا هؤلاء ندبّر شأننا، نتفاهم بالفصحاء، ونتراحم بالإخاء، ونتواسى في الضرّاء، ونتساوى في السّراء، دعونا ندبّر حياتنا الدّنيا ونجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء ألا وهي: فلتحيا الأمّة فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء».

المراجع:

- علي حرب 2004: أوهام النخبة أو نقد المثقف، ط 3، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- عبد الجليل الميساوي1999 : قيم الإصلاح والتحديث في فكر ابن أبي ضياف من خلال كتابه الإتحاف، تونس، دار الإتحاف.
- عبد الرحمان الكواكبي: طبائع الإستبداد، ط2 ، تحقيق محمد جمال طحان، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية.
- جوردون مارشال 1998 : موسوعة علم الإجتماع، ط2 ، المجلد الأول، جامعة أوكسفورد، نيويورك.
- سبر أراء سيغما كونساي 2015 و2016.

ـ باحث

geographie_tunisie@yahoo.fr

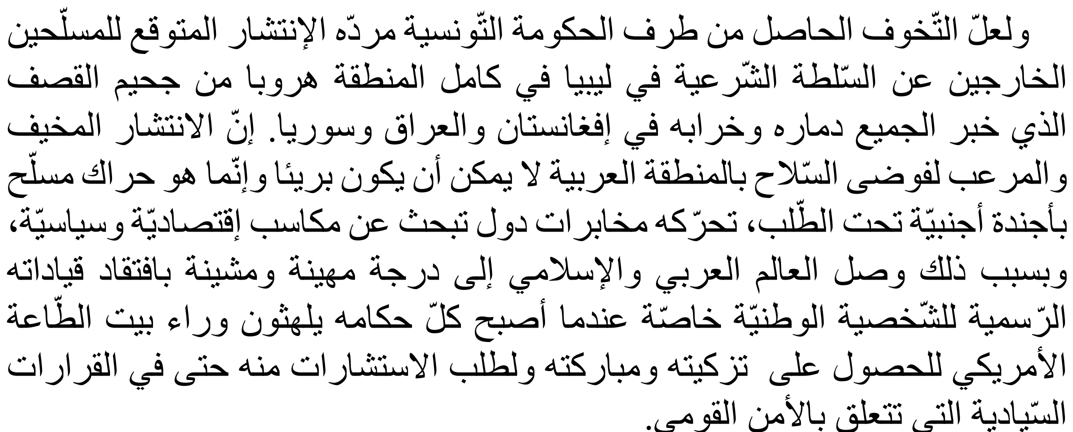


قرع طبول الحرب على ليبيا : السبب داعش و الهدف إستعمار جديد للمنطقة !

تعيش المنطقة العربيّة هجمة شرسة من طرف القوي الغربيّة تحت مسمّى مقاومة الإرهاب بداية من الصّومال و مالي والعراق ثم سوريا و هاهي تلك القوى تقرع طبول الحرب بتحريك أساطيلها الجويّة والبحريّة والاستعداد لتمركز قوّاتها البريّة والبحريّة بعدّة مناطق في ليبيا، المعلوم أنّ الجماعات الإرهابيّة المسلّحة في ليبيا التي تنخرط تحت راية داعش والقاعدة إنّما هي محدودة العدد والانتشار الجغرافي، وكان يمكن أن تبادر قوّات المغرب العربي من المغرب والجزائر وتونس والسلطة الشّرعية في ليبيا بتحمّل مسؤوليّة تطهير المنطقة من تلك الظّاهرة بالتنسيق السّياسي والعسكري الميداني فيما بينها لأنّ إستجلاب قوّات أجنبيّة لا يخدم مستقبل المنطقة ويهدّد إستقلالها الذي بُذلت من أجله ملايين الشّهداء، ويفتح الطريق أمام الاستعماريين لينهبوا المقدرات الاقتصادية البترولية والغازية والمنجمية بالمنطقة خاصة في ليبيا الخزّان الكبير للثروات البترولية.


محمد الهميلي

ولعلّ التّخوف الحاصل من طرف الحكومة التّونسية مردّه الإنتشار المتوقع للمسلّحين الخارجين عن السّلطة الشّرعية في ليبيا في كامل المنطقة هروبا من جحيم القصف الذي خبر الجميع دماره وخرابه في إفغانستان والعراق وسوريا. إنّ الانتشار المخيف والمرعب لفوضى السّلاح بالمنطقة العربية لا يمكن أن يكون بريئا وإنّما هو حراك مسلّح بأجندة أجنبيّة تحت الطّلب، تحرّكه مخابرات دول تبحث عن مكاسب إقتصاديّة وسياسيّة، وبسبب ذلك وصل العالم العربي والإسلامي إلى درجة مهينة ومشينة بافتقاد قياداته الرّسمية للشّخصية الوطنيّة خاصّة عندما أصبح كلّ حكامه يلهثون وراء بيت الطّاعة الأمريكي للحصول على تزكيته ومباركته ولطلب الاستشارات منه حتى في القرارات السّيادية التي تتعلق بالأمن القومي.



إن النّظام العالمي الجديد الذي يطلّ علينا برأسه هو نظام ما بعد العولمة الاقتصاديّة والثقافية، هو نظام عسكرة العلاقات الدّولية لا يعلو فيها صوت على صوت القوّة الغربيّة الغاشمة والغطرسة العسكرية للّوبي الصهيوأمريكي. الهدف من ذلك طمس معالم نجاحات المقاومة العربيّة والإسلاميّة في حروبها الأخيرة مع الكيان الصهيوني وفرض قاعدة «توازن الرّعب». فنتيجة لدخول إسرائيل عصرا يبشّر بإنكماش السّطوة الصّهيونيّة وعجزها عن مجاراة نسق المقاومة التّصاعدي، بادرت غرفة عمليّات حماية هذا الكيان بضرب القوّة العربيّة والإسلامية الصّاعدة عبر زرع ورم جديد في الأمّة عنوانه الإرهاب وسلاحه الفوضى الخلاّقة لاستباق ما قد يحدث في مستقبل السّنوات القادمة من تهديد جدّي لوجود إسرائيل في أوّل مواجهة جديدة بينها وبين المقاومة خاصّة

إن النّظام العالمي الجديد الذي يطلّ علينا برأسه هو نظام ما بعد العولمة الاقتصاديّة والثقافية، هو نظام عسكرة العلاقات الدّولية لا يعلو فيها صوت على صوت القوّة الغربيّة الغاشمة والغطرسة العسكرية للّوبي الصهيوأمريكي.



بعد الثّورات العربيّة الأخيرة التي أعطت للمقاومة زخما ثوريّا وقوّة معنويّة من شأنها قلب الموازين. المؤلم هو أن تشارك دول عربيّة كالإمارات ومصر في مشروعٍ لصناعة الشّرق الأسوط الجديد قوامه تدمير الدّول العربية ذات التوجه القومي والحركات الإسلامية وخلق دويلات مهجنة مرتهنة أكثر من ذي قبل إلى الحاكم العالمي الكبير من دون قوّة عسكرية وطنية فاعلة وقادرة على تأمين الأمن القومي. وما نشهده من إنخراط نظام السّيسي في محاصرة وضرب حركة حماس عبر تدمير الأنفاق وإغراقها بالماء وتمويل الإمارات للقوى المضادّة لثورات الربيع العربي إنّما هو شراكة مع العدو وتواطؤ ضدّ الأمّة وشعوبها.

» يعيش العرب الآن أسوء أيّامهم بعد تدمير الترسانة العراقيّة واللّيبية وضرب جبهة المقاومة العربية والاسلاميَة وإدخالها في فوضى الخلافات وبذر الصراع المذهبي بين ضفّتي المقاومة السّنية والشّيعيّة مع دفع «مصر» أكبر قوّة عربيّة إلى التعاون مع الكيان الصهيوني. «

في هذا السياق تأتي التحضيرات الجارية على قدم وساق من طرف الحلف الأطلسي قصد التدخل العسكري في ليبيا بتعلّة ضرب مواقع الإرهاب برغم تعالي أصوات الرّفض المتصاعدة لدول المنطقة خوفا من العواقب الكارثيّة التي قد يحدثها مثل هذا القرار. يعيش العرب الآن أسوء أيّامهم بعد تدمير التّرسانة العراقيّة واللّيبية وضرب جبهة المقاومة العربية والاسلاميّة وإدخالها في فوضى الخلافات وبذر الصراع المذهبي بين ضفّتي المقاومة السّنية والشّيعيّة مع دفع «مصر» أكبر قوّة عربيّة إلى التعاون مع الكيان الصهيوني. وتسعى القوات العظمى إلى زرع قاعدة أطلسيّة متحرّكة لتأمين السّيطرة على الثّروات الإفريقيّة والعربيّة في قلب المغرب العربي انطلاقا من ليبيا كإستشراف لإمكانيّة حصول أزمة إقتصادية عالمية جديدة خاصة بعد سيطرة التّنظيمات الإرهابيّة وبعض الدّول الإفريقية الخارجة عن بيت الطّاعة الغربي على مقدرات النّفط بالدول التي فيها صراعات وحروب.

إنّ صناعة بعبع الدّولة الإسلامية (داعش) في المنطقة إنّما هو وسيلة وذريعة للتّدخل والسيطرة عليها وبعث نمط حكم جديد يعتمد قيادة الباب العالي من وراء البحار ولكن هذه المرة ليس بحكم عثماني أو خلافة إسلاميّة أو عبر حكام قُطريين موالين بل بالرّجوع إلى حكم الامبراطوريات الغربيّة التي تهيمن على الأقاليم والأمصار وتسيرها عبر حكم بلا سيادة وطنية ومن ثمّ السيطرة على المقدرات الإقتصادية للدول وإستنزاف ثرواتها.

وأمام هذا كلّه، يبقى الأمل قائما أمام وجود دولا إسلاميّة صاعدة كتركيا وأندونيسيا وباكستان والجزائر استطاعت أن تحدّ من الهيمنة الامريكية والغربية وتحافظ على سيادتها الوطنية وإستقلالية قرارها وبامكانها الوقوف أمام المؤامرات التي تحاك للأمة، غير أن النجاة لن تحصل إلاّ بالارتقاء بوعي الشعوب العربية والإسلامية لتتصدّى وترفض كل محاولات الإسكات والاستنزاف والهيمنة.

ـ ناشط في المجتمع المدني
hmilimohamed@live.fr

أرشيف

كثرت مشاغلي وتعطلت شؤون مستعجلة لم أوفّق في تصريفها وازدادت تعقيدا كلما حاولت تفكيكها. كنت أجدني أؤجل كل يوم مسألة فأحفظها في سلة المحفوظات أرشيف همومي.

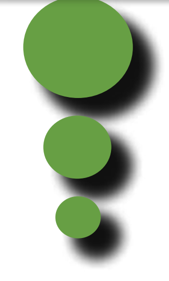
ارتفعت أكداس ملفّاتي حتّى صارت اليوم أبراجا عالية مائلة ترضخ تحت الضّغط المتنامي فتهدّد بالانفلات والتّرامي. كنت في زمن الانبساط أعالجها أوّلا بأول وأحيانا ولتخفيف الوطء، تصرف المسألة الأخيرة أوّلا. وبدأت التّراكمات منذ حداثة عهد التّسويف، عهد الرّفض بدون لا. ولازلت أحفظ عن أبي مقولة شائعة:

«إذا زُرِعتْ حتّى في بستان متى وحضّنت بلعلّ وسُقِيتْ بعسَى فاعلم أن الجواب : لا! لا! وألف لا».

إن البنايات الشّاهقة والمائلة تراصّت طوابقها بلاءات ضخمة هائلة ونُسِيتْ منذ أمد بعيد حتّى اصفرّ لون كرتونها. هكذا أرشيفنا هو تراثنا ينسى، وكذلك همومي كنز تراكم عليه غبار السّنين. هل سيَنْفِض يوما الغبارَ عن مخطوطاتي حافظُ أرشيف يدرك جيدا قيمة المنقول وما دسّ بين الرّفوف؟ فمتى يمحّص باحثُ أفكاري التي إلى اليوم لم تعن شيئا لأحد؟ أيكون استثمارا تعتيق الفكر كما يعتّق الخمر؟ فأين لي بأبي نواس حتّى يعلّم القوم تفريغ عتيق «الخندريس» من براميلها واشتهائها من بريق الكؤوس وتذوق الرّاح وشربها حتّى النّشوة التي تطلق العنان وتنطق الأبكم وتزيل الضّباب؟ أم تُراني أُكره علي انتظار حتفي ليُتلَف كل شيء بموتي. ومن ذاك زمان حتى ذلك اليوم يظلّ برج همومي مرتفعا هائلا يكاد يتصدّع وينهار. والويل من انفلات سوط العذاب، ريح هوجاء عاتية تأتي على كلّ ما ثُبّت دون وتد أو ماء، فيضان يجرف كلّ ما كدّس دون تعب، أو ربّما زلزال عنيف يدكّ كلّ ما ارتفع دون سند أو تكون سحابة جراد مرسلة تبيد كلّ أخضر دون الحطب.



رفيق الشاهد



ـ مهندس

chahed@meteo.tn

إن البنايات الشّاهقة والمائلة تراصّت طوابقها بلاءات ضخمة هائلة ونُسِيتْ منذ أمد بعيد حتّى اصفرّ لون كرتونها. هكذا أرشيفنا هو تراثنا ينسى، وكذلك همومي كنز تراكم عليه غبار السّنين.


التدخل العسكري الأجنبي


... نفذت الطائرات الروسية الحليفة
غارات محدّدة أصابت بدقّة عناصر
من تنظيم داعش وحسب المعلومات
التي وردتنا من الأشقاء الروس
أنّ لم يسجّل أي ضحايا من المدنيين ...
الإعلام الأعمى ...

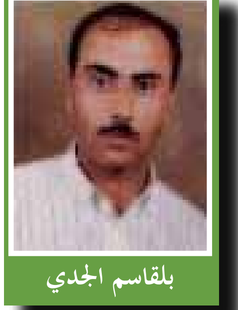
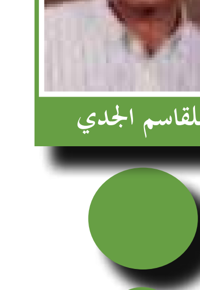

قالك اوباما التدخل العسكري
في ليبيا الهدف متاعو
القضاء على "داعش"
بابا أوباما ... عدّيها
على غيرنا ...أمّا علينا
.... صعيب شويّة



عواصف الوجع ... أن تكتب أو تموت

بلقاسم الجدي أستاذ أول فوق الرتبة بمعهد عقارب، من مواليد 1962 بعقارب من ولاية صفاقس. متحصل على الأستاذية في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب بتونس 1987 وهو ناشط في المجال الثقافي وعضو في إتحاد الكتّاب التونسيين ورئيس جمعية المسرح الحرّ بعقارب. صدر له مسرحيّة «لامعة» ومجموعة شعريّة تحت عنوان « تقدّم فشاطئ الفجر ينادي» وثلاثية الوجع وهي ثلاث روايات صدرت منها إثنتان «وجع الفولاذ» و«وجع الحديد» في انتظار «وجع الطين».

فتح بلقاسم قلبه للقراء وأحباء الكتاب ليسرد عليهم قصّته مع الأدب والرواية ومغامراته مع الكتابة ... وترك لقلمه العنان ليقدّم ثالوثه الذي ولده دفعة واحدة والحديث عن وجعه المستمرّ الذي صاغه في ثلاثية رائعة...



بلقاسم الجدي


أيها القارئ الكريم .. مرحبا بك في محراب الإبداع وفي طقس الكتاب .. أنت أيها القارئ جرعة من الأمل تبعثها في كيان جريح .. أيها القارئ أنت رئة ثالثة أستنشق بها رائحة الحبر وكيمياء الصبر ... ومع هذا لا أخفي عنك قلقي من تردّي وضع الكتاب في هذا البلد .. ولا سيّما ما كان منه إبداعيا ... .فلا أدري هل أحدثكم عما يدفعه المبدع من لحمه ومن سهر وجرحه وهو ينحت مولوده كلمة كلمة ....أم أحدثكم عن مغامرته بخبز عياله الهارب أصلا حتى يستوي هذا المولود على سوقه ... أم أحدثكم عن ماء الوجه الذي يريقه وعن أقدامه التي تتهرأ من معاندة الارض بين الانهج والازقة حتى يروجه ...

الفنان في بلدي « فنان غلبة» بامتياز.. ومازال تحت تغريدة «الدوعاجي» يطلقها من تحت ذاك السّور ساخرة لاذعة « عاش يتمنّى في عنبه ....» .واعجبي في هذا البلد .. اعتصم أهله لكلّ الأسباب ولم يفتح أحد فاهه من أجل الكتاب ... .

الكتابة وجع أو لا تكون.. كتبي بعض عواصفي، في ماي من عام 2013 أصدرت دفعة واحدة وفي مشيمة واحدة ثلاثة مواليد.. مثلث لم تتساو أضلاعه وتلك علّة في الخلق... فلا الظلّ يستقيم والعود أعوج ولا العود يستوي والزّمن أعرج.. المهمّ أصبحت أبا لستّة وسابعتهم « ستّ».. ثلاثة هي عيال الله .. وثلاثة هي عيالي ... وعادت عيالي عالة على عيال الله والسّت ... تقتات منها بلا استئذان .... وما في الجبّة الاّ أنا وقرطاسي وقلمي يطوح بي بين مدارات عواصف المتابة بلا مرافئ، الاّ أذرعة القراء شواطئ

كتبي بعض عواصفي التي هزّت منّي الفروع وخلخلت في الأصول، فاذا أنا في جحيم الحبر أتلظّى فرعا فرعا وأصلا أصلا .. وهال من خيار غير السّباحة أنا .. والحبر .. ومعنا السّيد الصبر.



ترسي فيها سفننا بلا ياطر .... .

كتبي بعض عواصفي التي هزّت منّي الفروع وخلخلت في الأصول، فاذا أنا في جحيم الحبر أتلظّى فرعا فرعا وأصلا أصلا .. وهل من خيار غير السّباحة أنا .. والحبر .. ومعنا السّيد الصبر . هذه بعض حرائقي التي اشتعلت في كياني منذ أزيد من عقدين .. وامتدت الى ما بعد جمعة « أيّالنّار» ذكَر الشهور .. كادت تذهب بأنفاسي الى المستطيل الأخير ... رشفت منّي مائي ونهشت من لحمي ومن عظمي ..فهرعت الى بنات الحلفاء ومذكر الأقلام أصبّ كبّة اللّهب والجمر والفحم والقهر صبّا على سطح الورق، متبرّجا عاريا الاّ من الصّدق .

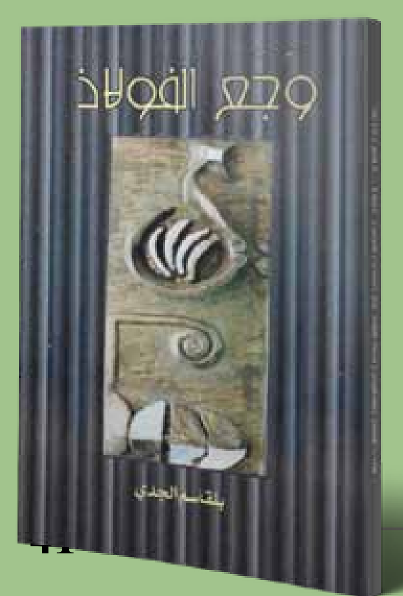
ألفيت نفسي في هذا الخضم كفرططّو «الهادي الجويني» الفنان .. وما أروعها من صورة شعريّة تراجيديّة تدمّر الذّات لكنّها تخلقها كالعنقاء من جديد .... هذا «الفرططو» يتّجه رأسا الى النّار التي تحرقه، وكأنّه يصرخ فيّ : «هذه الأوراق جنّتها النّار وجحيمها الحبر»، فتذكّرت ما فعله التّوحيدي بكتبه .. فكدت أفعل لولا بقيّة عشق لعسل الحبر ... وروائحه العتيقة .. ضلعان من المثلث نحتّهما والأصنام تتهاوى والأعلام تتعالى ..دفء الحبر من نار الدّماء ... سيولة ذاك من سيل هذا ..أمّا الضلع الثّالث وهو «وجع الفولاذ» فبدأته سنة 1992 وانهيته 2012

> رأيت التونسي عملاقا يتقدّم ... ثم عرّيت مِن يأكلون مع الذئب ويبكون مع الرّعاة ... وعدّت الى دفء ذاك الشّتاء. وحبلى السّنابل وملأى القنابل .. والى فرعوننا الذي قال «خميس ثم سبت وكفى» .. وأنطقت زيتونة جدّي « حرقة بالنّار ولا مطره في أيّالنّار» لكنهّا أمطرت.

الضلع الاول : المجموعة الشعرية

تقدم .. فشاطئ الفجر ينادي ..اذا الفجر ناداني أن تقدم، فتذكّرت ابن الجريد وصبحه الجديد .. رآه على بعد أكثرمن ثلاثين حولا ضوئيّا ايمانا بالشعب المريد ...فلماذا لا يحق لي أن أرى ما يرى ؟؟

رأيت التونسي عملاقا يتقدّم ... ثم عرّيت من يأكلون مع الذّئب ويبكون مع الرّعاة ... وعدّت الى دفء ذاك الشّتاء . وحبلى السّنابل وملأى القنابل .. والى فرعوننا الذي قال «خميس ثم سبت وكفى» .. وأنطقت زيتونة جدّي « حرقة بالنّار ولا مطره في أيّالنّار» لكنهّا أمطرت .. وتذكّرت المرأة التي كادت أن تكون أمّي لولا حائط مهجور والاه رحيم زمن الخبزة .. واعترفت أنّي بكيت مرّتين .. ورسمت الخطّ الأسود .. ورثيت العصفورة البكماء التي قنصوها .. وأعلنتُ أنّ الكراسي كالأرقام القياسيّة تتحطّم أيضا .. ونحتُّ



> **«لامعة» ابنة جميلة .. ماسرّها ؟ .. .لمعت من فحم التّاريخ .. كتاب فأخشاب .. «قمر 14» عرس الجمال والتّاريخ .. فتحت فيها جراحا زمن الكرة والأرجنتين وزمن الخبزة.. طفلا وشابا في مهب العاصفة.**

«توبيا» عنوانا للأخوة مع جيراننا الجنوبيّين.. ولم أخْف خوفا على المولودة فصرخت «أخافها تدوّي بلا مطر» قفلا للمجموعة.. ثماني عشرة قصيدة احتفت بقيامة السّابع عشر وطوفان أيّالنّار... أضفت رقما لأنّ الفجر ينادي.. ولا حائط الاّ الصّبح ..

الضلع الثاني : مسرحية «لا معة»

«لامعة» ابنة جميلة.. ماسرّها ؟.. لمعت من فحم التّاريخ.. كتاب فأخشاب .. «قمر 14» عرس الجمال والتّاريخ.. فتحت فيها جراحا زمن الكرة والأرجنتين وزمن الخبزة.. طفلا وشابا في مهب العاصفة.. تلميذ بمدينة « السياب» والاسفلت والاسمنت .. وطالبا بمدينة الجنون والفنون والسجون.. بل عدّت الى الخمسينات والسّتينات .. وصاحب النظّارات المستديرة.. خطوة الى الوراء.. وحسيب خطوة الى الأمام... وقبلها «الخمسه اللي لحقو بالجرّه وملك الموت يراجي»... وبعدها أصوات الرّاديوهات تدوّي «بني وطني يا ليوث الصدام».

«لامعة» صحيح أنّها تأخّرت.. لكنّها وصلت الأولى... «لامعة» تصرخ وسط الجمهور، امسحوا عيون فلسطين الدّامعة... «لامعة» تولد فتحبو فتسرّ فتمشي فتطير ... ومن يدري فقد... ولكن سؤالا ركح في كياني فاتحا فاهه كالتّنين « وإذا لامعة سئلت بأيّ ذنب قُتلت»؟؟؟؟

الضلع الثالث : وجع الفولاذ

والفولاذ.. ما حكايته؟ والحكاية أيّ فولاذ قُدّت منه؟ وجع النّص.. ونصّ الوجع ..من دهاليز الجسد ومن صدإ الرّوح.. من صلب التّاريخ ومن ترائب الجغرافيا ... أتى الفولاذ مضافا اليه... ولست أفهم كيف لأوراق نحيلة أن قدرت على حمل أوجاعي وفولاذي؟. شهقت بالرّواية مرّتين.. عقدين من المخاض.. ولحظة من الولادة انزاحت عن صدرها دقّات الآلات الميكانيكية.. فأتت في جلبابها الأسود.. ووجه أرهقته السّنون العشرون .. فكان في لون اللّيم.. كنت أنا والرّواية في خطّين متوازيين ومتعاكسين.. هي تزيّن وتأخذ زخرفها وأنا أهرم ويطير غرابي.. اشتد ساعدها فرمتني...

هذه الرّواية كدس من الأسئلة وصفر من الأجوبة.. لم أكتبها بقدر ما كتبتني.. غالبتني فغلبتني.. ذاكرة ممطرة.. أحداثها خيوط من مطر، ما حدث كأشطان بئر لا تتوقف متدفقة بلا ضوابط.. تنهال علي كصبّ المزاريب. هذه الرّواية كلّما أعدّت قراءتها الاّ وتأكّدت أنّ كاتبها لا أعرفه لكنّني أتذكّره.. أقرؤها من جديد، فأجدها جامحة لا تترهب كالصّخر.. لا تحطّها القراءة من عل.. لذّة كالمناجم والمنابع تعطي بغير حساب ولا تفنى بل تفتن قرّاء آخرين وتزداد تأهّبا للمعاشرة. «وجع الفولاذ» رواية برأسين.. في ظاهرها كتنّين الخرافات.. أمّا في باطنها فكأفعى ابن القارح تطارده بين العنبر والصّعبر.. وهو يهرول.. وهي تصيح هلمّ إن شئت اللّذة ...

«وجع الفولاذ» تبرّجت للغرباء كعوبا طروبا لعوبا... تلتذ بقراءتها ولا تستطيع حكايتها.. هذه الرواية تُقرأ ولا تحكى.. سرّ دفين كشهرزاد الحكيم.. والذي كتبها إمام العاجزين عن حكايتها.. هي رواية البيان لا اللّسان.. لذيذة القراءة ممتنعة عن الحكاية..

«وجع الفولاذ» .. سرّها في خميرتها وتخميرتها... ونكهتها في ترنيمتها .. تعاشرها قراءة وكفى ...أمّا غسيلها فلا ينشر .. هي رواية الجمع والمنع بلا تفويت .. هي رواية الجزر بلا مدّ.. هي رواية ممنوعة من الرّواية كسرّ الجسد يعاشُ ولا يُفشى..



شهقت بالرّواية مرّتين .. عقدين من المخاض .. ولحظة من الولادة انزاحت عن صدرها دقّات الآلات الميكانيكية .. فأتت في جلبابها الأسود .. ووجه أرهقته السّنون العشرون .. فكان في لون اللّيم.

تهمّ برواياتها فتموت الكلمات على شفتيك .. ويختنق الحكواتي فيك كأنها مقدودة من شبق صوف الحلاج .. لا يلتذّ به الاّ لابسه ولا يسعد به الاّ ممارسه شطحا وفتحا ..

«وجع الفولاذ» .. سرّها في خميرتها وتخميرتها ... ونكهتها في ترنيمتها .. تعاشرها قراءة وكفى ...أمّا غسيلها فلا ينشر .. هي رواية الجمع والمنع بلا تفويت .. هي رواية الجزر بلا مدّ.. هي رواية ممنوعة من الرّواية كسرّ الجسد يعاشُ ولا يُفشى .. وكيف لأحداث مهمّشة متسربلة أن تحكى؟ .. فقد تكسّرت أزمنتها على إسفلت التاريخ من آدم الى ما بعد عصر «الطرفاوي» .. ومن حواء الى ثقافة تلك العجوز .. تداخلت صُرّتها وذيلها ورأسها .. فبعل القارئ بالأمر وعجز عن روايتها .. وهل فيها رأس وذيل وصرّة حتى تُروى ؟

«وجع الفولاذ» .. ظفائر الحكي فيها كحبال شبكة السّنابل تتخانق وتحسبها تتعانق .. فكسّرت أسواري بلا رحمة .. وشرّدت مني إبلي .. ولا زلت أطلبها كلّ مغرب شمس. أفلتت مني وغلبتني، فتركتها على علاّتها... جذبت .. جذبت .. جذبت .. فأفلتت مني الخيوط. «وجع الفولاذ» ..إن قصفت سكونك يا قارئها بجمال توحّشها. وهي الشّرود.. ولها أكَر من نار .. فلا أملك الاّ أن أدعو لك السّماء .. بطلاها «الطرفاوي» و«نزّال»... للطلرفاوي حكاية كادت أن تذهب بي الى المستطيل الأخير ... صحيح أنّ قيامة «أيّالنار» قد هزّت روحي لكن خاتمة «الطرفاوي» خلخلت في قفص الجسد وعصفور الرّوح سويّا .. فأفسدت علي لذّة نعيم تلك القيامة ...

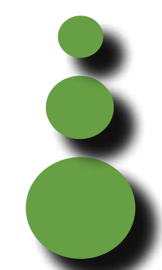
غلبتني حبال الحكاية كماغلبه حبل الماجل .. فأصبحت كالحيّات تسعى .. وقد تتشابك كمخاطيف شبكة السّنابل تحسبها ظهور العير تتخانق وهي تتعانق ... .ونزّال هذا انطلق بحّاث شغل فاستحال منشغلا بالبحث كمجرم الدوعاجي رغم ... فتاكا وما وعى .. نبّاشا في صلب تاريخ « أحرف» لأبيه وترائب جغرافيا أمه «الخضراء» وما نوى .. .ونزّال هذا أيضا ... له أيّام كتيار أبيه .. صعّاد للفعل .. فتيل من نار التهب في كامل الخارطة .. من صرّتها المسوّسة الى رأسها المجنون .. الى ذيلها اللّذيذ .. وله ولأبيـه عشاق ... فتحت رماد تاريخهم لهيب ....فقد تنفخ فيه بعض الرّياح الأُخَرْ....

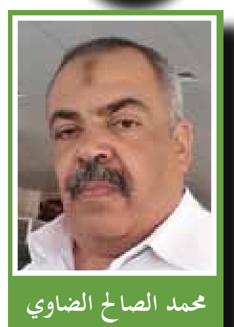
«وجع الفولاذ» .. ظفائر الحكي فيها كحبال شبكة السَنابل تتخانق وتحسبها تتعانق .. فكسّرت أسواري بلا رحمة .. وشرَدت مني إبلي .. ولا زلت أطلبها كل مغرب شمس. أفلتت مني وغلبتني، فتركتها على علاتها... جذبت .. جذبت .. جذبت .. فأفلتت مني الخيوط. إن قصفت سكونك يا قارئها بجمال توحَشها. وهي الشرود.. ولها أكَر من نار .. فلا أملك الاّ أن أدعو لك السَماء

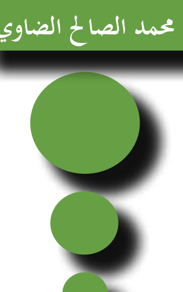




رأي في قضية «تعدد الزوجات في تونس»




محمد الصالح الضاوي



يطرح بعض الإسلاميين من حين إلى آخر موضوع تعدّد الزّوجات، سواء من منطلق خطّهم الفكري الذي يتبنّونه، أو كردّ فعل على استفزاز الخصوم لهم، فيقعون في فخّ إثارة المشاكل الثّانوية التي لا تزيدنا إلاّ خسارا.

نعم، هناك من الإسلاميّين من يعتقد أنّ تعدّد الزّوجات حلّ لمشكلة العنوسة في تونس بعد أن وصلت حسب آخر إحصاء إلى أكثر من مليوني وربع مليون إمرأة، وهؤلاء واهمون، لأنّهم يجهلون أيّ حلول أخرى يمكن أن تحلّ المعضلة، سيّما وأنّ بعضا من هؤلاء ينطلقون من عقدهم النّفسية وكبتهم الجنسي.

من المفيد إبداء الملاحظات التالية:

أولا: على الإسلاميين، وغيرهم أيضا، أن يعترفوا أنّ مشاريعهم الفكريّة وسلوكياتهم اليوميّة فشلت في تحقيق السّعادة للفرد والأسرة. وهو فشل يشترك فيه كلّ الأطراف بلا استثناء.

ثانيا: إن مشكلاتنا الجنسيّة أعقد وأكثر من مشاكلنا الأخرى، لكنّنا لا نملك الجرأة ولا التقاليد على مناقشتها ومراجعة سلوكنا العاطفي والجنسي... وبالتّالي، فإنّ فتح ملف الجنس في مجتمعنا مسألة ذات أهمية قصوى، وعلى الدّولة تحمّل مسؤولياتها في توظيف علماء الجنس في كافّة المرافق الحيويّة حتى يرافقوا الشّباب والكهول في سلوكهم.

ثالثا: إنّ العمل في مجال المرافقة العلميّة للحياة الجنسيّة لشعبنا تتطلّب إقرار هدف إنقاذ العائلات الحاليّة، ووقاية العائلات المستقبليّة.

رابعا: على كافة شرائح المجتمع أن تفتح حوارا عميقا ومسؤولا عن الحياة الجنسيّة ومختلف تطوّراتها وتجلّياتها، وعليها مناقشة كلّ تصرف أو سلوك من شأنه التّأثير على العمليّة الجنسيّة وخاصّة المؤثّرات والصّورة الإعلاميّة.

على كافة شرائح المجتمع أن تفتح حوارا عميقا ومسؤولا عن الحياة الجنسيّة ومختلف تطوّراتها وتجلّياتها، وعليها مناقشة كلّ تصرف أو سلوك من شأنه التّأثير على العمليّة الجنسيّة وخاصّة المؤثّرات والصّورة الإعلاميّة.



خامسا: إنّ أصل الحياة الزّوجية مبنيّة على زوجين فقط، كما عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة أكثر عمره. والتّعدد استثناء.

سادسا: إن المنظومة القانونية والبيئة الثقافية التونسية لا تسمح للتعدد بالنمو والتكاثر بين مختلف الشرائح الاجتماعية، زيادة على أن القدرة الشرائية للمواطن التونسي تدهورت كثيرا ولم تعد تكفيه لإعالة أسرة واحدة، فما بالك بالتعدد.

> لو فتح باب التعدد في تونس، فلن يؤثر على نسبة العنوسة أبدا، والدّليل تجارب البلدان التي تبيح التّعدد، فهي تعاني العنوسة بنفس نسبتنا أو أكثر. وبالتّالي، فإنّ التّعدد هو حل مغشوش لا يساهم إلاّ في تسريع انهيار الأسر المهترئة حاليا.

سابعا: لو فتح باب التعدد في تونس، فلن يؤثر على نسبة العنوسة أبدا، والدّليل تجارب البلدان التي تبيح التّعدد، فهي تعاني العنوسة بنفس نسبتنا أو أكثر. وبالتّالي، فإنّ التّعدد هو حلّ مغشوش لا يساهم إلاّ في تسريع انهيار الأسر المهترئة حاليا.

ثامنا: علينا أن نكثر من الدراسات العلمية المتعلقة بالزواج ومشكلة العنوسة وأن نجد حلولا من شأنها تسهيل الزواج بين الشباب بغاية حل الأزمة الجنسية، مع التحكم في الانجاب في إطار التنظيم العائلي.

تاسعا: لو تملك الدولة قدرا من الشجاعة وتصدر قانونا للتعدد، فإنه لن يغير شيئا من واقع التونسيين، وسيرضي قلوب قوم مؤمنين به، وسيكون بديلا لتعدد العشيقات المنتشر في البلاد، وبالتالي: لا يكون كارثة كما يصورها الخصوم، ولن يحل مشكلة العنوسة كما يتصوره الموالون.

- باحث في الاسلاميات والتصوف
dhaoui66@gmail.com





السياحة بين الدين والاقتصاد والبيئة - ج 2

«نحو صناعة سياحية بيئية في إطار مخطط تنمية مستدامة ومسؤولة»


د.حسن جمني

صارت السياحة تحتلّ مكانا بارزا في العديد من استراتيجيات التنمية في الدول ذات القدرات السياحية، ويندرج أيضا ضمن بنود جدول أعمال الكثير من المؤتمرات الدولية بشأن التنمية المستدامة.

وكلّ الدّراسات تؤكّد على أنّ السياحة نشاط شديد الحساسية أمام التقلبات، والاضطرابات التي يشهدها العالم، طالما أن القدر الأكبر من الطلب على هذه الأنشطة يتمثل في رحلات الترفيه، والإجازات، والأعمال التجارية. فخلال الأزمات الاجتماعية والاقتصادية، تخفض الأسر ورجال الأعمال، في العادة، نفقاتهم على الرحلات من أجل قضاء العطلات الترفيهية، والأعمال؛ الأمر الذي يتسبب في انخفاض ملحوظ في عدد السياح، ومن ثم تقلص العوائد السياحية. ولتلافي ذلك وجب العمل على تعزيز صناعة سياحية مستدامة ومسؤولة.



II-1 تنمية السياحة المستدامة

تتمثل التنمية السياحية في «مختلف البرامج، التي تسعى إلى تحقيق الزيادة المستقرة، والمتوازنة في الموارد السياحية، وتعميق، وترشيد إنتاجية القطاع السياحي.» [2] وبالتالي، فهي تقوم على ارتقاء وتوسيع وتنويع الخدمات السياحية، وتلبية حاجاتها؛ أي حاجات السياح والجهات المضيفة إلى جانب توفير الأمن وتوفير الفرص للمستقبل، الأمر الذي يتطلب رسم تخطيط يستهدف تحقيق أكبر معدل ممكن من النمو السياحي، بأقل تكلفة ممكنة، وفي أقصر زمن ممكن بطريقة تستجيب لمقتضيات الاقتصاد والاجتماع والثقافة والعوامل البيئية بالتنوّع الحيوي .

مع الملاحظة وأن التخطيط لإقامة تنمية سياحية مستدامة، يستوجب الحفاظ على تنوع الأنظمة البيئية الموجودة؛ لأنها تمثل غالبا القاعدة الأساسية التي يقوم عليها هذا النشاط. فالسّائح القادم إلى تونس لم يعد، في أغلب الحالات، ساعيا وراء عملية تسمير (bronzage) على الشواطئ، فالتلوث الذي تشهده شواطئ البحر الأبيض المتوسط نفرت السّائح من ذلك وجعلته يسعى للتعرف على بيئة جديدة ونظم عيش مختلفة وتقاليد طريفة... وعلى هذا النحو، فالتنمية السياحية المعاصرة تتمثل في عملية تطوير ينسجم

«المطلوب رسم تخطيط يستهدف تحقيق أكبر معدل ممكن من النمو السياحي، بأقل تكلفة ممكنة، وفي أقصر زمن ممكن بطريقة تستجيب لمقتضيات الاقتصاد والاجتماع والثقافة والعوامل البيئية بالتنوّع الحيوي.»



فيها استثمار الموارد مع اتجاه التطور التكنولوجي مع التغير المؤسساتي.

II.2 تنمية سياحية مسؤولة

يعبّر مصطلح «السياحة المسؤولة» عن مفهوم يحوي معاني متعدّدة ومتشعبة ومتشابكة، تشمل مسؤولية كلا من السائح والمنظم والمؤسّسة السياحية؛ ويشير إلى مسؤولية المواطن عن نماء ونجاح السياحة في بلاده، من حيث حماية البيئة والإرث الثقافي.



يعبّر مصطلح «السياحة المسؤولة» عن مفهوم يحوي معاني متعدَدة ومتشعبة ومتشابكة، تشمل مسؤولية كلا من السائح والمنظم والمؤسَسة السياحية؛ ويشير إلى مسؤولية المواطن عن نماء ونجاح السياحة في بلاده، من حيث حماية البيئة والإرث الثقافي



فبذلك تجعل الدولة السياحة أداة فعالة تساهم بها في تحقيق السلام والتضامن العالميين، ولاسيما في مواجهة الإرهاب والتحديات الاقتصادية الحالية، إضافة إلى احترام الإنسان، والطبيعة، والبيئة، وكذلك القواعد التي تنظم عمل القطاع. ولا يكون ذلك إلاّ باتخاذ تدابير تضمن المسؤولية ، ومن أهمها:

*احترام المنتوج الثقافي: وذلك من خلال بلورة الأنشطة السياحية، بشكل يسمح بمتابعة، وتنمية المنتوج الثقافي الحداثي والتقليدي والفولكلوري وعدم إخضاعه لنمط معياري واحد أو الحد من ثرائه.

*احترام قيم الحداثة وحقوق الإنسان: إذ يتعيّن على الفاعلين في الميدان السياحي أن يتشبعوا بقيم الحداثة وحقوق الإنسان.

* حماية البيئة: فمن واجب كافة المتدخلين في نمو قطاع السياحة العمل على حماية البيئة والموارد الطبيعية في إطار تنمية اقتصادية مستدامة تستجيب بشكل عادل لاحتياجات وتطلعات الجيل الحاضر، وجيل المستقبل.

II. 3- كيف هي حال التنمية السياحية في تونس؟

تبيّن عديد الدّراسات التي أنجزت قبل سنة 2011 أنّ الجمهورية التونسية وفّرت جميع مقومات الجذب السياحي. فلوحظ وعي سياحي عال على المستويين الرسمي والشعبي، فكان السائح يجد في تونس بغيته مهما تنوّعت وتباينت، فإلى جانب شواطئها التي يبلغ طولها حوالي 1200 كم على مياه البحر الأبيض المتوسط والمجهزة بمرافق وخدمات سياحية متطورة توفّرت فضاءات السياحة الثقافية ممثلة بكنوز من التراث والآثار والمتاحف تعكس كلها تواتر حضارات عريقة شهدتها البلاد منذ فجر التاريخ.

كما عملت الجمهورية على توفير بنية خدمات متطورة في مجال المواصلات والنقل جوًا وبراً وبحراً بالإضافة إلى خدمات الاتصالات الحديثة التي تستوعب كل ما تنتجه تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة .

من واجب كافة المتدخلين في نمو قطاع السياحة العمل على حماية البيئة والموارد الطبيعية في إطار تنمية اقتصادية مستدامة تستجيب بشكل عادل لاحتياجات وتطلعات الجيل الحاضر، وجيل المستقبل.

فتحوّلت بذلك الجمهورية التونسية خلال السنوات السابقة إلى وجهة تستقطب مجموعات فندقية وذات صيت عالمي بالنظر لما توفره هذه البلاد من مميزات أهمها وفرة السياح الذين قدّر عددهم بسبعة مليون سائح سنويا وتوفر بنية تحتية ضخمة تساعد على إقامة مشاريع سياحية كبرى فضلا عن توفر عوامل جغرافية مناسبة. ويشار إلى أن قطاع السياحة مثل نحو 17 بالمائة من الناتج الإجمالي للبلاد في عام 2009.

وكانت الدّراسات السياحية تتوقع أن تستقطب تونس عام 2014 أكثر من 10 ملايين سائحا سنويا وأن تدر السياحة أكثر من 5 مليارات دولار، وأن يساهم القطاع السياحي في تحرير الدينار وزيادة مخزون البلاد من العملة الصعبة.

وبدل أن تتحقق هذه التوقعات، لاحظنا مع الأسف الشديد ، انتكاسة قويّة خلال سنة 2015، حيث ألغت العديد من وكالات السياحة الدولية حجوزاتها في تونس بعد مقتل ثمانية وثلاثين سائحا أغلبهم بريطانيون، في الهجوم الذي شنه مسلح على أحد فنادق مدينة سوسة. وهو اعتداء على مصدر تشغيل وتمويل واستثمار ضخم أتى بعد أن كاد التونسيون ينسون ما عرفته تونس عام 1987 من تفجيرات استهدفت 3 فنادق في مدينتي سوسة والمنستير، راح ضحيتها 13 سائحاً، واتهمت في حينه حركة (الاتجاه الإسلامي) بالضلوع فيها، وأوقف وحوكم 7 أشخاص في القضية. فبعد مضي 28 سنة من ذلك الحدث نرى السياحة تستهدف من جديد بعملية إرهابية جرت بمتحف باردو وأفضت إلى وقوع 22 قتيلاً و50 جريحا، بينهم 21 سائحا أجنبيا. ونتيجة ذلك سجلت عائدات قطاع السياحة في تونس تراجعا بنسبة 30.2 % في ما بين 1جانفي و31أكتوبر 2015 مقارنة بالفترة ذاتها من 2010. وتراجع عدد الليالي المشغولة بنسبة 54 %، وعدد الوافدين إلى الحدود بنسبة 32.4 %، بحسب أرقام وزارة السياحة.

ولإنقاذ الصناعة السياحية بتونس من مخلفات الإرهاب ودفع عجلة التنمية وجب التخطيط لتنمية سياحية مستدامة ومسؤولة، واتخاذ عدّة إجراءات لضمان أمن الفنادق والمطارات والمواقع والمسارات السياحية، مع إطلاق حملة ترويج دولية في الأسواق الاستراتيجية، وخاصّة التفكير في تنمية السّياحة البيئية لعدّة أسباب أخرى سنوردها بعد تحديد مفهوم تلك السياحة ومكوناتها وفوائدها .

> ”لإنقاذ الصناعة السياحية بتونس من مخلفات الإرهاب ودفع عجلة التنمية وجب التخطيط لتنمية سياحية مستدامة ومسؤولة، واتخاذ عدّة إجراءات لضمان الأمن، مع إطلاق حملة ترويج دولية في الأسواق الاستراتيجية، وخاصّة التفكير في تنمية السّياحة البيئية“

4ـ II ـ السياحة البيئية («Eco-Tourism»)= («Tourisme- écologique»)

أ) مفهوم السياحة البيئية:

ظهر مصطلح السياحة البيئية منذ مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، ، ليشير إلى نوع جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة. وهي، حسب تعريف الصندوق العالمي للبيئة: «السفر إلى مناطق طبيعية، لم يلحق بها التلوث، ولم يتعرض توازنها الطبيعي إلى أي خلل؛ وذلك للاستمتاع بمناظرها، ونباتاتها، وحيواناتها البرية، وتجليات حضارتها، ماضيا وحاضرا».

فهو مصطلح حديث نسبياً، ويشير إلى نوع من السياحة تجذب إليها عشّاق الطبيعة والنبات والحيوان، فهي سياحة صديقة للبيئة عندما نقارنها مع غيرها من الأصناف،

> **السياحة البيئية هي السفر إلى مناطق طبيعية، لم يلحق بها التلوث، ولم يتعرض توازنها الطبيعي إلى أي خلل؛ وذلك للاستمتاع بمناظرها، ونباتاتها، وحيواناتها البرية، وتجليات حضارتها، ماضيا وحاضرا.**



وغالباً ما تكون الجمعيات أو المجموعات السّياحيّة المنضوية تحت هذا الشكل من السّياحة أكثر حساسيّة للقضايا البيئيّة، لذا نراها حريصة على رفض الإضرار بالمواقع الطَّبيعيّة أو المساس بمكوّناتها وأشكالها بأي شكل كان. وتتقاطع السّياحة البيئيّة في هذا المضمار مع مفاهيم أخرى ذات غايات شبيهة كالسّياحة المسؤولة والسّياحة المستدامة وغيرها من المسمّيات التي تحمل في داخلها عناصر إيجابيّة نحو البيئة مثلما سلف ذكره.

وقد وصف (Colvin,1994) السائح البيئي بأنه:

أ- لديه رغبة شديدة في التعرف على الأماكن الطبيعية والحضارية.
ب- لديه خبرة شخصية واجتماعية.
ج- يتجنّب توافد السياح إلى الأماكن بأعداد كبيرة.
د- تحمل المشاق والصعوبات وقبول التحدي للوصول إلى هدفه .
هـ- التفاعل مع السكان المحليين والانخراط بثقافتهم وحياتهم الاجتماعية.
و- مرونة التكيف عند وجود خدمات سياحية بسيطة.
ز- تحمل الإزعاج والسير ومواجهة الصعوبات بروح طيبة.
ح- إيجابي وغير انفعالي.
ط- يخيّر إنفاق النقود للحصول على الخبرة وليس من أجل الرّاحة.



السياحة البيئيّة مصطلح حديث يشير إلى نوع من السياحة تجذب إليها عشّاق الطبيعة والنبات والحيوان، فهي سياحة صديقة للبيئة، وغالباً ما تكون الجمعيات أو المجموعات السّياحيّة المنضوية تحت هذا الشكل من السّياحة أكثر حساسيّة للقضايا البيئيّة.



وقصد إعادة التوافق بين السياحة والبيئة، جاءت على المستوى الدولي اتجاهات حديثة نحو منح الأنشطة السّياحية الملائمة للبيئة عدة شهائد، منها: شهادة الايزو (14000 لضمان الجودة البيئية)، شواطئ الراية الزرقاء؛ شهادة السياحة الخضراء؛ الفنادق الخضراء وفكرة الفندق البيئي؛

(ب) مكوّنات السياحة البيئية

(ب - 1) عوامل الطبيعة الإيكولوجية

وتضم العناصر والأنظمة الحيوية، وتلك التي تقدّمها الطبيعة كليّاً، مثل سطح الأرض وما عليه من جبال ووديان وغابات ومغاور وأنهار ومحميات وصحارى، وأنواع المشاهدات والخبرات الواسعة المتضمنة فيها، أو التي عمل عليها الإنسان مثل الحدائق والمنتزهات، فكلما كانت نظيفة وصحية كلما ازدهرت السياحة وانتعشت.

السياحة البيئية نشاط إنساني يمارسه البشر وفق قواعد وضوابط تحمي وتصون الحياة الطبيعية وترتقي بجودتها وتحول دون تلويثها وتعمل على المحافظة عليها للأجيال الحالية والأجيال القادمة

(ب - 2) العوامل المناخية

كالفصول المناخية وما تقدّمه من عناصر وإمكانات وتحوّلات في الصيف أو الشتاء، في الربيع أو الخريف، وبحيث تتحوّل هذه العناصر إلى مكوّنات سياحية كبرى، من مشاهدة الغروب على شاطئ البحر أو ممارسة التزلج على الثلج في الجبال، أو السهر مع النجوم في الصحراء بعيدًا عن كل إنارة.

(ب - 3) العوامل البيولوجية

الثروات النباتية المتنوعة، من أزهار، وأشجار، ونباتات، ومياه معدنية، إلى الثروة الحيوانية والسمكية، من طيور وأسماك وكائنات بحرية وبرية مختلفة.

ج) أهمَية السياحة البيئية:

يمكن تحديد أهم عناصر مفهوم السياحة البيئيّة في النقاط التالية:

أ- السياحة البيئية نشاط إنساني يمارسه البشر وفق قواعد وضوابط تحمي وتصون الحياة الطبيعية وترتقي بجودتها وتحول دون تلويثها وتعمل على المحافظة عليها للأجيال الحالية والأجيال القادمة.

ب- السياحة البيئية تحافظ على الكائنات من الانقراض وتجعل الإنسان يساهم في حماية الحياة البرية وصيانتها وزيادة عناصر الجمال الطبيعي فيها.

ج- السياحة البيئية نشاط له مردود اقتصادي متعدد الجوانب تجمع بين الجانب المادي الملموس والجانب المعنوي الأخلاقي المؤثر .

د- السياحة البيئية نشاط يجمع بين الأصالة في حماية الموروث الحضاري الطبيعي والحداثة في تحضرها الأخلاقي حيث تجمع بين القديم والحديث .

هـ- السياحة البيئية التزام أخلاقي وأدبي أكثر منها التزام قانوني تعاقدي وبالتّالي فإن تأثير القيم والمبادئ سوف يحكم هذا النوع من السياحة.

د) تأثير السياحة البيئية على مختلف مجالات الحياة المجتمعية:

تترتب عن كلّ ما جاء في الفقرات السّابقة فوائد جمّة على السياسة والثقافة والاقتصاد والمجتمع عموما نذكر منها:

(د - 1) الفوائد الاقتصادية للسياحة البيئية

تعد أماكن ممارسة السياحة البيئية من أكثر الموارد ندرة في العالم ممّا يجعل الاستفادة من صفة الندرة في تحقيق التنمية المستدامة بما يمكن تحقيقه من المداخيل والأرباح من العملة الصعبة وتحسين الدورة المالية، مع توفير فرص العمل والتوظيف للمعطلين عن العمل، وتنويع الإنتاج الاقتصادي ومصادر الدخل الوطني، وتحسين تجهيزات البنية التحتية.

تعد السياحة البيئية صديقة للمجتمع حيث تقوم على الاستفادة مما يتوفر فيه من موارد وأفراد، حيث تعمل على تنمية العلاقات الاجتماعية وتحقيق وتحسين عملية تحديث المجتمع بتعريفه على نظم مختلفة ونقل المجتمعات المنعزلة إلى مجتمعات منفتحة.



السياحة البيئية نشاط له مردود اقتصادي متعدّد الجوانب تجمع بين الجانب المادي الملموس والجانب المعنوي الأخلاقي المؤثر و هو أيضا نشاط يجمع بين الأصالة في حماية الموروث الحضاري الطبيعي والحداثة في تحضرها الأخلاقي بين القديم والحديث.



(د - 2) الفائدة السياسية للسياحة البيئية

تتمثّل في الأمن البيئي بعدم تعرض الدول لاضطرابات ناجمة عن عدم رضا الأفراد عن التلوث أو الإضرار بالبيئة فيتم تعديل ذلك باعتماد السياحة البيئية.

(د - 3) الفوائد الاجتماعية للسياحة البيئية

تعد السياحة البيئية صديقة للمجتمع حيث تقوم على الاستفادة مما يتوفّر فيه من موارد وأفراد، حيث تعمل على تنمية العلاقات الاجتماعية وتحقيق وتحسين عملية تحديث المجتمع بتعريفه على نظم مختلفة ونقل المجتمعات المنعزلة إلى مجتمعات منفتحة .

(د - 4) الفوائد الثقافية للسياحة البيئية:

تقوم السياحة البيئية على نشر المعرفة وإسهامها في تطوير ونشر ثقافة المحافظة على البيئة والمحافظة على الموروث والتراث الثقافي الوطني، وثقافة الحضارة القرطاجية والأمازيغية والرومانية والعربية الإسلامية وغيرها والمواقع التاريخية، وصناعة الأحداث والمناسبات الثقافية والعمل على الاستفادة من الثقافة المحلية مثل الفنون الجميلة والآداب والفلوكلور وسياحة الندوات واللقاءات الثقافية.



تعطي السياحة البيئية فرصا للتواصل الإنساني الرقيق والحميمي بين البشر وتنشر السلم العالمية وتساهم في تقريب الإنسان من ربّه بمشاهدة الاختلاف والتنوّع والجمال الطبيعي.



وأعتقد أنّ في ذلك كلّه فوائد عقائدية دينية فالسياحة البيئية تعطي فرصا للتّواصل الإنساني الرّقيق والحميمي بين البشر وتنشر السّلم العالميّة وتساهم في تقريب الإنسان من ربّه بمشاهدة الاختلاف والتنوّع والجمال الطبيعي.

فهل تقوم وزارة السّياحة في بلدنا بما يكفي لتطوير هذه السّياحة؟

المراجع

(1) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار،المعجم الوسيط، (1-2/467).

(2) أحمد محمود مقابلة (2007)، صناعة السياحة، دار الكنوز المعرفة، القاهرة .

(3) أحمد الجلاد(2002)، السياحة المتواصلة البيئية، عالم الكتاب، طبعة 1، مصر.

(4) محسن أحمد الخضيري(2006)،السياحة البيئية.مجموعة النيل العربية، القاهرة.

(5)

Robert LANQUAR(1993).Le tourisme international .que sais je ?. 5eme édition .Paris : Presses universitaires.

(6) المنظمة العالمية للسياحة إحصائيات 2008.

World Tourism Organization 6-le site: www.flickr.com/photos/unwto

(7) عبد الحليم توميات (2011)، مفهموم السّياحة في القرآن والسنّة. موقع:

http://www.nebrasselhaq.com/

(8)

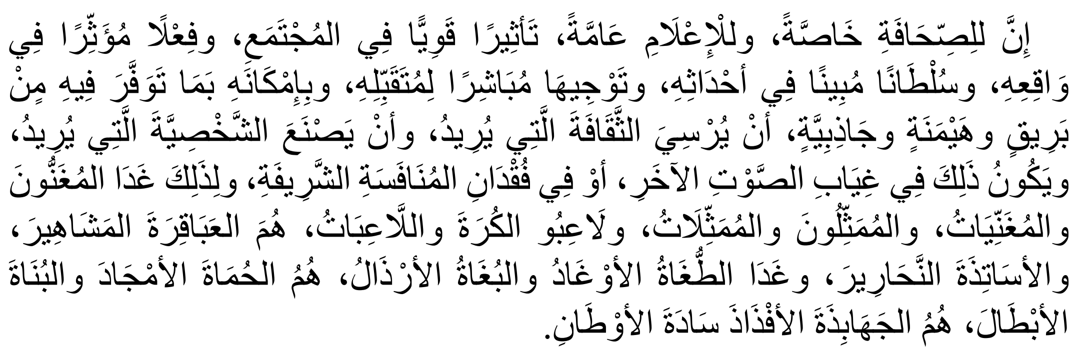
COLVIN, Jean (1994), Capirona: A model of indigenous ecotourism. Paper delivered at the Second Global Conference: Building a Sustainable World through Tourism, Montréal, Canada

- دكتور في علوم التربية، متفقد عام للتربية متقاعد
jemnihassen@yahoo.fr

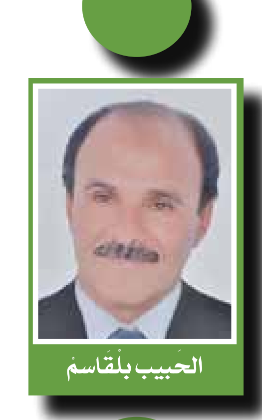


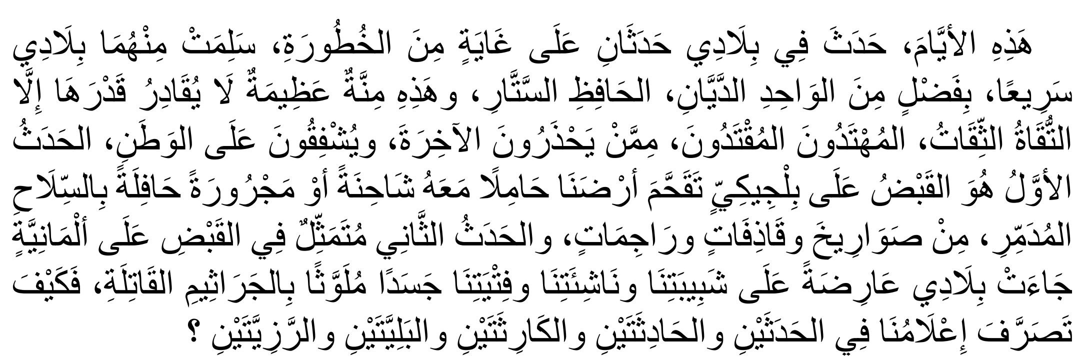
إعلامنا بين متفجرات البلجيكي وجراثيم الألمانية قسمة ضيزى

يَذْهَبُ قَوْمٌ إِلَى أنَّ الصِّحَافَةَ هِيَ السُّلْطَةُ الرَّابِعَةُ، والشُّرْطَةُ الرَّادِعَةُ، وقَدْ صَحَّ قَوْلُهُمْ، وصَدَقَ زَعْمُهُمْ، بَلْ أكَادُ لَا أُخَالِفُ مَنْ يَزْعُمُ أنَّها السُّلْطَةُ الأولَى، وبِخَاصَّةٍ فِي زَمَنٍ مَا بَعْدَ الثَّوْرَةِ، وأوَّلُ وَلِيدٍ تُنْجِبُهُ الثَّوْرَةُ الحُرِّيَّةُ، وبِغَيْرِهَا لَا تُبْنَى الأُمَمُ، ولَا تَرْقَى الدُّوَلُ، غَيْرَ أنَّ لَهَا عِنْدَ العُقَلَاءِ، حُدُودًا وضَوَابِطَ، وشُرُوطًا ومَحَارِمَ، والشُّرُوطُ لَا تُنْتَقَضُ، والمَحَارِمُ لَا تُنْتَهَكُ، ولِأنَّ العَرَبَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالحُرِّيَّةِ، وكَانَتْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ بِمَثَابَةِ الحُلْمِ الطَّائِرِ، غَلَوْا فِي اِسْتِعْمَالِهَا غُلُوًّا فَاحِشًا، وانْفَلَتُوا اِنْفِلَاتًا عَجَبًا، لَا تَزَالُ شَوَاهِدُهُ بَيِّنَاتٍ، وعَوَاقِبُهُ نَيِّرَاتٍ، ولَا شَكَّ أنَّ لِكُلِّ أجَلٍ كِتَابًا، وأنَّ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مَنْطِقًا، ولَا بُدَّ أنَّ الأيَّامَ سَتُنِيرُ أمَامَنَا حَقَائِقَ جَدِيدَةً، تُصَوِّبُ المَسَارَ، وتُرَشِّدُ الخِيَارَ، وتَضَعُنَا فِي وَضْعٍ جَدِيدٍ، تُحَدَّدُ فِيهِ المَفَاهِيمُ، وتُعَدَّلُ فِيهِ المَوَازِينُ.



إنَّ لِلصِّحَافَةِ خَاصَّةً، ولِلْإعْلَامِ عَامَّةً، تَأثِيرًا قَوِيًّا فِي المُجْتَمَعِ، وفِعْلًا مُؤَثِّرًا فِي وَاقِعِهِ، وسُلْطَانًا مُبِينًا فِي أحْدَاثِهِ، وتَوْجِيهًا مُبَاشِرًا لِمُتَقَبِّلِهِ، وبِإمْكَانِهِ بِمَا تَوَفَّرَ فِيهِ مِنْ بَرِيقٍ وهَيْمَنَةٍ وجَاذِبِيَّةٍ، أنْ يُرْسِيَ الثَّقَافَةَ الَّتِي يُرِيدُ، وأنْ يَصْنَعَ الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي يُرِيدُ، ويَكُونُ ذَلِكَ فِي غِيَابِ الصَّوْتِ الآخَرِ، أوْ فِي فُقْدَانِ المُنَافَسَةِ الشَّرِيفَةِ، ولِذَلِكَ غَدَا المُغَنُّونَ والمُغَنِّيَاتُ، والمُمَثِّلُونَ والمُمَثِّلَاتُ، ولَاعِبُو الكُرَةِ واللَّاعِبَاتُ، هُمَ العَبَاقِرَةَ المَشَاهِيرَ، والأسَاتِذَةَ النَّحَارِيرَ، وغَدَا الطُّغَاةُ الأوْغَادُ والبُغَاةُ الأرْذَالُ، هُمُ الحُمَاةَ الأمْجَادَ والبُنَاةَ الأبْطَالَ، هُمُ الجَهَابِذَةَ الأفْذَاذَ سَادَةَ الأوْطَانِ.


الحَبيب بلْقاسم



هَذِهِ الأيَّامَ، حَدَثَ فِي بِلَادِي حَدَثَانِ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الخُطُورَةِ، سَلِمَتْ مِنْهُمَا بِلَادِي سَرِيعًا، بِفَضْلٍ مِنَ الوَاحِدِ الدَّيَّانِ، الحَافِظِ السَّتَّارِ، وهَذِهِ مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ لَا يُقَادِرُ قَدْرَهَا إلَّا الثِّقَاتُ الثِّقَاتُ، المُهْتَدُونَ المُقْتَدُونَ، مِمَّنْ يَحْذَرُونَ الآخِرَةَ، ويُشْفِقُونَ عَلَى الوَطَنِ، الحَدَثُ الأوَّلُ هُوَ القَبْضُ عَلَى بِلْجِيكِيٍّ تَقَحَّمَ أرْضَنَا حَامِلًا مَعَهُ شَاحِنَةً أوْ مَجْرُورَةً حَافِلَةً بِالسِّلَاحِ المُدَمِّرِ، مِنْ صَوَارِيخَ وقَاذِفَاتٍ ورَاجِمَاتٍ، والحَدَثُ الثَّانِي مُتَمَثِّلٌ فِي القَبْضِ عَلَى ألْمَانِيَّةٍ جَاءَتْ بِلَادِي عَارِضَةً عَلَى شَبِيبَتِنَا ونَاشِئَتِنَا وفِتْيَتِنَا جَسَدًا مُلَوَّثًا بِالجَرَاثِيمِ القَاتِلَةِ، فَكَيْفَ تَصَرَّفَ إعْلَامُنَا فِي الحَدَثَيْنِ والحَادِثَتَيْنِ والكَارِثَتَيْنِ والبَلِيَّتَيْنِ والرَّزِيَّتَيْنِ ؟

وَا أسَفَاهُ، ويَا وَيْلَتَاهُ، لَقَدْ كَانَتْ القِسْمَةُ ضِيزَى، والمِيزَانُ جَائِرًا، والتَّقْدِيرُ مُتَفَاوِتًا، إذْ عُقِدَتْ لِمُتَفَجِّرَاتِ البِلْجِيكِيِّ نَدَوَاتٌ ومَجَالِسُ، ولِقَاءَاتٌ ومَنَابِرُ، ومُنَاوَشَاتٌ ومَوَائِدُ، طَالَ فِيهَا عَنْ حَدَثِ الحَادِثَةِ حَدِيثٌ، وارْتَفَعَ الصَّوْتُ والسَّوْطُ، واشْتَدَّ بَعْدَ الجَذْلِ الجَدَلُ والدَّجَلُ، كُلٌّ يُبْدِي رَأيًا وتَحْلِيلًا، ويُعْلِنُ فِكْرَةً وتَعْلِيلًا، ويُعْلِي صَخَبًا وصُرَاخًا، ويَقُولُ مِنْ بَعْدِ نَقْضٍ



إنَّ لِلصِّحَافَةِ خَاصَّةً، ولِلْإعْلَامِ عَامَّةً، تَأثِيرًا قَوِيًّا فِي المُجْتَمَعِ، وفِعْلًا مُؤَثِّرًا فِي وَاقِعِهِ، وسُلْطَانًا مُبِينًا فِي أحْدَاثِهِ، وتَوْجِيهًا مُبَاشِرًا لِمُتَقَبِّلِهِ، وبِإمْكَانِهِ بِمَا تَوَفَّرَ فِيهِ مِنْ بَرِيقٍ وهَيْمَنَةٍ وجَاذِبِيَّةٍ، أنْ يُرْسِيَ الثَّقَافَةَ الَّتِي يُرِيدُ، وأنْ يَصْنَعَ الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي يُرِيدُ



نَقْدًا، وكَانَ لَا بُدَّ أنْ تُعْقَدَ هَذِهِ المَجَالِسُ، وتُدَارَ هَذِه المَوَائِدُ، ويُدْعَى إِلَيْهَا أَهْلُوهَا مِمَّنْ لَهُمْ الرَّأيُ السَّدِيدُ، والرُّؤْيَةُ الثَّاقِبَةُ، والطَّرْحُ القَوِيمُ، والفِكْرَةُ البَانِيَةُ، وكَانَ لَا بُدَّ أَلَّا تَقَرَّ لَهُمْ عَيْنٌ، ولَا تَسْكُنَ نَفْسٌ، ولَا يَهْنَأَ بَالٌ، ولَا يَهْدَأَ حَالٌ، ولَا يَخْمُدَ صَوْتٌ، حَتَّى تُرَى الحَقِيقَةُ عَارِيَةً سَافِرَةً، وتُعْرَفَ كُلُّ التَّفَاصِيلِ، فَبِهَا – أزْعُمُ – يُكْشَفُ مَا كَانَ مُسْتَتِرًا غَيْرَ مُسْتَطَرٍ، ويُفْضَحُ مَا كَانَ مَخْبُوءً يَكِيدُ لِلْوَطَنِ الجَمِيلِ، حَسَنًا فَعَلَ القَوْمُ عِنْدَمَا كَانَ مِنْهُمْ عَزْمٌ عَلَى الخَوْضِ فِي الكَارِثَةِ، وحَزْمٌ فِي التَّعَاطِي الجَادِّ مَعَ هَذِهِ القَضِيَّةِ الخَطِيرَةِ، وأَحْسِبُ أنَّ البِلْجِيكِيَّ لَوْ بَلَغَ غَايَتَهُ، دُونَ أنْ تُبْصِرَهُ عَيْنٌ، لَشَهِدَتْ بِلَادِي مَآسِيَ جَدِيدَةً، زَادَتْ مِنْ أوْجَاعِهَا، وعَكَّرَتْ أوْضَاعَهَا، وعَطَّلَتْ قَافِلَةَ نَمَائِهَا، وعَقَّدَتْ سِيَاسَةَ دَوْلَتِهَا، وعَمَّقَتْ جِرَاحَ نُخْبَتِهَا، وتِلْكَ غَايَاتُ المُفْسِدِينَ الخَوَارِجِ، وأمْنِيَاتُ الحَاقِدِينَ اللِّئَامِ، وهَذِهِ مُهِمَّةُ الإعْلَامِ، ووَظِيفَةُ الصِّحَافَةِ، حَرِيٌّ أنْ تُدِيرَهَا بِإتْقَانٍ، وتَقُومَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ.

وفِي الوَقْتِ الَّذِي أُثِيرَتْ فِيهِ هَذِهِ القَضِيَّةُ الخَطِيرَةُ، وعُولِجَتْ بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، وإنْ كَانَتْ الكَفَاءَةُ عِنْدَ الكَثِيرِينَ غَائِبَةً، وقِرَاءَاتُهُمْ خَائِبَةً، نَجِدُ أنَّ القَضِيَّةَ الثَّانِيَةَ مَوْضُوعَةً فِي الثَّلَّاجَةِ، كَانَ عَلَيْهَا حَظْرٌ ولَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ، رُغْمَ أنَّهَا فِي تَقْدِيرِي الخَاصِّ، تَبْدُو أشَدَّ خَطَرًا، وأكْثَرَ أهَمِّيَّةً، وأوْخَمَ عَاقِبَةً، إذْ هِيَ تَسْتَهْدِفُ أمَّةً ودِينًا وحَضَارَةً وهُوِيَّةً، ونَاشِئَةً وشَبِيبَةً وطُفُولَةً وأجْيَالًا، وقِيَمًا ومَبَادِئَ ومُثُلًا ومَكَارِمَ، ولَيْسَ الإسْتِعْمَارُ رَصَاصًا يُصَوَّبُ، وحِذَاءً يَدُوسُ، ومَدِينَةً تُحْتَلُّ، وإنَّمَا هُوَ أيْضًا رُوحٌ تُضْرَبُ، وعَقْلٌ يُدَنَّسُ، وأخْلَاقٌ تُقْصَفُ، بُغْيَةَ فَسْخِ المُسْلِمِ مِنْ دِينِهِ، ومَحْوِ تُرَاثِهِ وتَارِيخِهِ، وهَدْمِ شَخْصِيَّتِهِ وعِزَّتِهِ، وفَصْلِ مَرْجِعِيَّتِهِ وهُوِيَّتِهِ.



لَيْسَ الاسْتِعْمَارُ رَصَاصًا يُصَوَّبُ، وحِذَاءً يَدُوسُ، ومَدِينَةً تُحْتَلُّ، وإنَّمَا هُوَ أيْضًا رُوحٌ تُضْرَبُ، وعَقْلٌ يُدَنَّسُ، وأخْلَاقٌ تُقْصَفُ، بُغْيَةَ فَسْخِ المُسْلِمِ مِنْ دِينِهِ، ومَحْوِ تُرَاثِهِ وتَارِيخِهِ، وهَدْمِ شَخْصِيَّتِهِ وعِزَّتِهِ، وفَصْلِ مَرْجِعِيَّتِهِ وهُوِيَّتِهِ.

عَجَبًا لِصِحَافَةٍ تُهْمِلُ رَزِيَّةً كَادَتْ تَزِيدُ الطِّينَ بِلَّةً، عَاهِرَةٌ أَلْمَانِيَّةٌ تَحْمِلُ طَاعُونًا، تَأْتِي بَلَدَنَا تَنْشُرُ وَبَاءَهَا، وبَلَاءَهَا، وعِدَاءَهَا، وعَلِمْتُ أنَّ سُلْطَةَ بِلَادِي رَحَّلَتْهَا إلَى بِلَادِهَا، آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً، لَمْ يُفْتَحْ تَحْقِيقٌ، ولَمْ تُعْقَدْ مَجَالِسُ، عَجَبًا كَيْفَ تَطُولُ الرِّحْلَةُ فِي رَصَاصَةٍ تَسْتَهْدِفُ فَرْدًا، وتَصْمُتُ الأفْوَاهُ عِنْدَمَا تَسْتَهْدِفُ طَلْقَةٌ طَائِشَةٌ مِنْ سَائِحَةٍ عَاهِرَةٍ وَطَنًا... ودِينًا...وأُمَّةً.

—

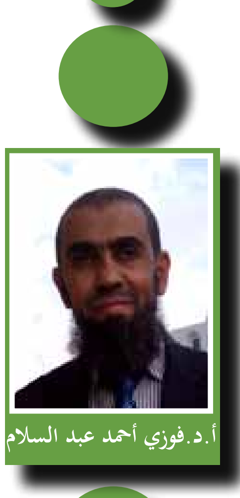
- عاشق الضاد

habib.belgecem.fattouma@gmail.com





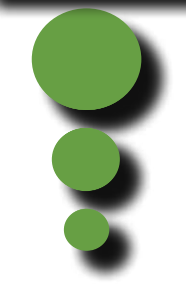
إشكالية الإلحاد والعلوم الطبيعية - ج 3


أ.د.فوزي أحمد عبد السلام

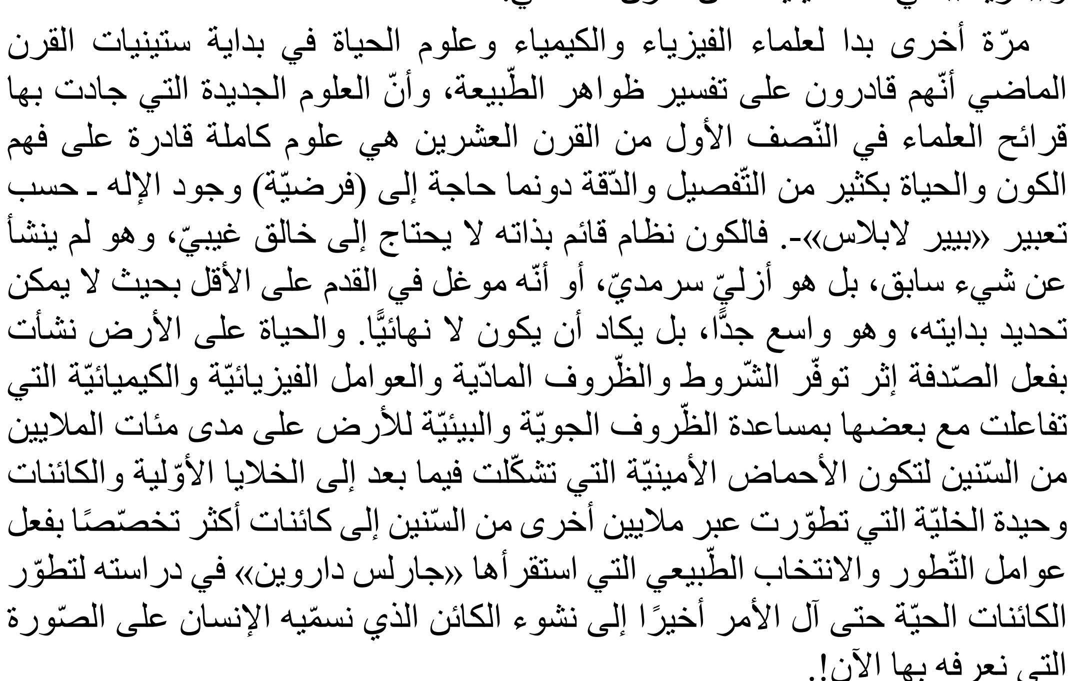
من علوم المواد الجامدة لعلوم الحياة

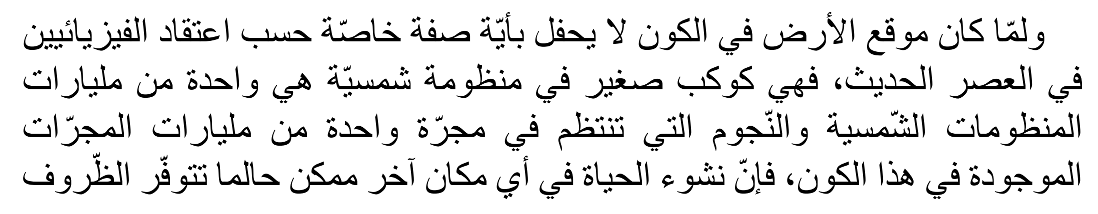
لقد حقّقت الرّؤية الجديدة المتمثّلة في نظريتي الكَمّ والنّسبية والمنهجيّة الجديدة التي اتّبعت (التّعامل مع المجرّد لفهم المجسّد) نجاحًا كبيرًا، خلال العقود السّتة الأولى من القرن العشرين لفهم المادّة والطّاقة ونشأة الحياة، إذ فتحت آفاقًا واسعة أمام علوم الكيمياء الحياتيّة لفهم كثير من التّفاصيل المتعلّقة بالتّراكيب الحيويّة التي تؤلّف بنية الخليّة الحيّة، وقادت هذه الآفاق علماء الأحياء الجزيئيّة إلى اكتشاف الحامض النّووي DNA، وبالتّالي اكتشاف الشّفرة الوراثيّة التي هي سرّ ديمومة الحياة وتطوّرها ضمن أبحاث «واطسن»، و«كريك» في الخمسينيات من القرن الماضي.

مرّة أخرى بدا لعلماء الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة في بداية ستينيات القرن الماضي أنّهم قادرون على تفسير ظواهر الطّبيعة، وأنّ العلوم الجديدة التي جادت بها قرائح العلماء في النّصف الأول من القرن العشرين هي علوم كاملة قادرة على فهم الكون والحياة بكثير من التّفصيل والدّقة دونما حاجة إلى (فرضيّة) وجود الإله - حسب تعبير «بيير لابلاس»-. فالكون نظام قائم بذاته لا يحتاج إلى خالق غيبيّ، وهو لم ينشأ عن شيء سابق، بل هو أزليّ سرمديّ، أو أنّه موغل في القدم على الأقل بحيث لا يمكن تحديد بدايته، وهو واسع جدًّا، بل يكاد أن يكون لا نهائيًّا. والحياة على الأرض نشأت بفعل الصّدفة إثر توفّر الشّروط والظّروف المادّية والعوامل الفيزيائيّة والكيميائيّة التي تفاعلت مع بعضها بمساعدة الظّروف الجويّة والبيئيّة للأرض على مدى مئات الملايين من السّنين لتكون الأحماض الأمينيّة التي تشكّلت فيما بعد إلى الخلايا الأوّلية والكائنات وحيدة الخليّة التي تطوّرت عبر ملايين أخرى من السّنين إلى كائنات أكثر تخصّصًا بفعل عوامل التّطور والانتخاب الطّبيعي التي استقرأها «جارلس داروين» في دراسته لتطوّر الكائنات الحيّة حتى آل الأمر أخيرًا إلى نشوء الكائن الذي نسمّيه الإنسان على الصّورة التي نعرفه بها الآن!.

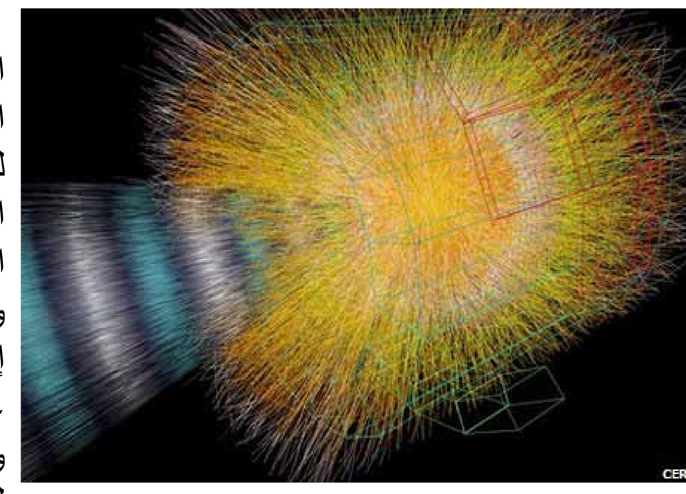


ولمّا كان موقع الأرض في الكون لا يحفل بأيّة صفة خاصّة حسب اعتقاد الفيزيائيين في العصر الحديث، فهي كوكب صغير في منظومة شمسيّة هي واحدة من مليارات المنظومات الشّمسية والنّجوم التي تنتظم في مجرّة واحدة من مليارات المجرّات الموجودة في هذا الكون، فإنّ نشوء الحياة في أي مكان آخر ممكن حالما تتوفّر الظّروف





حقّقت الرّؤية الجديدة المتمثّلة في نظريتي الكَمّ والنّسبية ومنهجيّة التّعامل مع المجرّد لفهم المجسّد نجاحًا كبيرًا، خلال العقود السّتة الأولى من القرن العشرين لفهم المادّة والطّاقة ونشأة الحياة، إذ فتحت آفاقًا واسعة أمام علوم الكيمياء الحياتيّة لفهم كثير من التّفاصيل المتعلّقة بالتّراكيب الحيويّة التي تؤلّف بنية الخليّة.



المادّية الملائمة. كانت هذه هي النّظرة السّائدة في الأوساط العلميّة عامّة. لكنّ المفاجأة جاءت في منتصف السّتينيات من القرن العشرين حين اكتشف الأمريكيان «أرنو بنزياس»، و«روبرت ولسن» وجود خلفيّة إشعاعيّة شاملة تملأ الكون، هي عبارة عن موجات مايكرويّة (مايكروويف) وجدت وكأنّها تأتي من الخلفيّة العميقة للكون. ولدى حساب درجة الحرارة المكافئة لهذه الموجات وَجَدَا أنّها تزيد قليلاً عن الصّفر المطلق (حوالي 3 درجات مطلقة أي 270 درجة تحت الصفر المئوي) ممّا يعني أنّ درجة حرارة الفضاء الكوني الخارجي هي عند هذه الدّرجة المنخفضة. يقول الله تعالى في معرض بيان تطور رؤية الإنسان إلى العالم: «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ»(الملك: 4). وإزاء هذه الكشوف الجديدة لم يعد للصدفة العمياء موقعًا ذي شأن في تبرير الحوادث الكونية، فالصدفة تحدث مرة واحدة وبدائلها كثيرة، أما أن تتركّب صدف كثيرة ـ نادرة كلّها ـ بعضها فوق بعض فهذا ما لا يقبله العقل والمنطق العلمي.

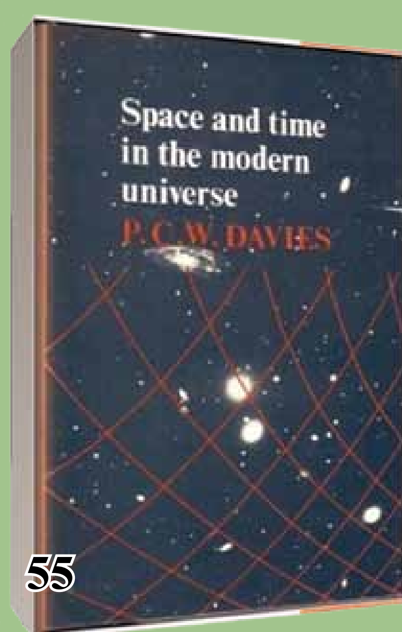
إن وجود زمن لا نهائي متاح أمام الصّدفة يجيز حصول التراكيب النادرة، ويفتح أمام الصّدفة أو الدّافع العشوائي سبيلاً ممكنًا، أمّا أن يكون الكون ذي عمر محدود فهذا ممّا يحدّد علمنا ضمن زمن محدود علينا أن لا نتجاوزه إذا ما أردنا القول بالخلق الحياتي بالدافع العشوائي في بنية الكون.

لذلك قام «فرانسيس كريك» الذي اكتشف مع «روبرت واطسن» الحامض النووي والشّفرة الوراثيّة بحساب احتماليّة ترتيب سلاسل جزيئات الحامض النّووي المؤلّفة للبروتين الأوّلي المكون للكروموسومات، فوجد أنّ هذا التركيب يمكن أن يحصل ضمن مصادفة احتمالها 10^{-260}، كما حسب الزّمن اللازم لحصول هذه الصدفة ضمن المدى اللازم للتفاعلات الحيوية المؤدية إلى تركيب الذرّات والجزيئات لتأليف الحامض النّووي ومن ثمّ تكوين الكروموسومات الأوليّة، فوجد أنّ عمر الأرض المحسوب جيولوجيًّا (وهو حوالي 4.5 مليار سنة) لا يكفي، ومع ذلك فقد بقي «كريك» معاندًا ملحدا محاولاً البحث عن سيناريو لتفسير نشوء الحياة على الأرض دون افتراض قوة خارجية مدبرة[1]. أما «بول ديفز» الفيزيائي البريطاني المعروف فقد كان متأثرًا بالأفكار الجديدة التي ولدت ما بين السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين إذ قام بإعادة النظر في ما كان قد كتبه في بداية السبعينيات في الفصل الأخير من كتابه Space and Time in the Modern Universe حول العقل العلمي، والغيب الديني، قائلاً: «إن تفسيرًا منطقيًّا للحقائق يوحي بأن قوة هائلة الذكاء قد تلاعبت بالفيزياء بالإضافة إلى الكيمياء وعلوم الحياة، وأنه ليس هنالك قوى عمياء في الطبيعة تستحق التكلم بصددها»[2]. ربما تلخص هذه العبارة الموقف الجديد لقطاع واسع من الفيزيائيين المعاصرين على اختلاف واسع

”

إن وجود زمن لا نهائي متاح أمام الصّدفة يجيز حصول التراكيب النادرة، ويفتح أمام الصّدفة أو الدّافع العشوائي سبيلا ممكنًا، أمّا أن يكون الكون ذي عمر محدود فهذا ممّا يحدِّد علمنا ضمن زمن محدود علينا أن لا نتجاوزه إذا ما أردنا القول بالخلق الحياتي بالدافع العشوائي في بنية الكون.





لم يعد للصدفة العمياء موقعًا ذي شأن في تبرير الحوادث الكونية، فالصدفة تحدث مرة واحدة وبدائلها كثيرة، أما أن تتركّب صدف كثيرة ـ نادرة كلّها ـ بعضها فوق بعض فهذا ما لا يقبله العقل والمنطق العلمي.

بينهم في ما تعنيه تلك القوّة الهائلة الذّكاء التي تحكّمت بالفيزياء والكيمياء وقوانين علوم الحياة لكي ينشأ العالم بهذه الصّورة وخلق الإنسان.

على ذلك نستطيع القول بأنّ تيارًا عقليًّا موضوعيًّا قد نشأ في نهايات القرن العشرين بين الأوساط العلميّة متسائلاً عن جدوى وحقيقة رفض الإيمان بوجود قوّة شاملة وراء خلق الكون ونشأة الحياة فيه. وبذلك أصبحت النّظرة العلميّة المعاصرة للغيبيات تتّخذ مواقعا أكثر تقدمًا وموضوعيّة، وربما كانت النظرة الدّينية الدّارجة وفق المنطق القديم هي الأخرى بحاجة إلى إعادة تكوين وفق أسس موضوعية جديدة تجعل الإنسان قادرًا على أن يرى الغيبيات حقيقة يقرؤها في كتاب الكون المنظور كما يقرؤها في كتاب الله المسطور.

بعد مــرور أقلّ من عشريــن عاما من بدايــة القرن العشريـــن غيّر المشتغلون بحقول العلوم الطبيعيّــة معتقداتهــم عن الطبيعــة فبعــد أن كانوا يقولون بأن الفيزياء كعلــم أصبحت مغلقــة ويمكــن حساب كل شـــئ نريد حسابـــه، قالوا بوجوب صياغـــة الفيزياء من جديد وإعادة النظر في كل المفاهيـــم الجوهريّــة من جديد، لقد صـــار كل شيء غامضًا



استكشاف حدود العقل أم حدود الكون

تأتي أهمية هذا الاكتشاف من حقيقة كونه قد أعطى زخمًا قويًّا لفكرة ابتداء الكون في الزّمان، فقد كان «جورج جامو» الفيزيائي الروسي الأصل قد طرح في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين سيناريو متكامل لنشأة الكون يبتدئ بانفجار عظيم عند درجة حراريّة عالية جدًّا يخلق معه الزّمكان، ثم تبدأ الذّرات الأولى بالتّشكل بعد مرور حوالي 300.000 سنة على عمر الكون، والذي يقدّر الآن بحوالي 15 مليار سنة. وبسبب التمدّد المستمر برد الكون حتّى وصلت درجة حرارته إلى حوالي 5 درجات مطلقة في الوقت الحاضر ـ طبقًا لحسابات جامو وفريق عمله. جاء اكتشاف «بنزياس»، و«ولسن» ليؤكّد صحّة ما توقّعه جامو إذ إنّ درجة الحرارة التي وجداها قريبة جدًّا من توقّعاته. ممّا دفع العلماء مرّة ثانية إلى التّفكير جديًّا بمعنى خلق الكون، ومعنى أن تكون له بداية في الزّمان، فاندفعوا لإجراء فيض هائـل من الأبحـاث النظريّـة، واندفع الفلكيّـون في نشاط محموم لمزيد من الأرصاد الفلكيّة في محاولـة لنفـي أو إثبات موضوع خلق الكـون بانفجار عظيم. وهكذا غيّر المشتغلـون بحقول العلوم الطبيعيّة معتقداتهم عن الطبيعة فبعد أن كانوا يقولون قبل بدايـة القرن العشرين بأن الفيزياء كعلم أصبحت مغلقة ويمكن حســاب كل شئ نريد حسابـه، فالطريــق لكلّ الأشيــاء أصبح واضحًا أو يكــاد (The physics as a science has been closed). وبعد مرور أقلّ من عشرين عاما من بدايـــة القــرن العشريــن غيّــروا معتقداتهــم هذه وقالـــوا يجــب صياغة الفيزيــاء من جديد وإعــادة النظــر فــي كـل المفاهيــم الجوهريّــة مــن جديد The physics as a science should be reformulated، لقد صار كلّ شيء غامضًا، ليدلّل على أن العقل البشري لا يمكن وحده أبدا أن يستقلّ بمعرفة الحقيقة المطلقة، ويضع حدّا للعقل البشري كآداة للمعرفة ويبرهن على عجزنا المطلق عن الوصول لتفاصيل الحقيقة الكبرى المطلقة بمفردنا، بينما نحن مُهيَّؤونَ لاستقصاء الحقائق النّسبية فقط.

استقلالية العقل

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل يستطيع العلم الطبيعي أن يحسم القضايا الكبرى بمفرده، أن يجيب علي الأسئلة الكبرى للمشكّكين؟. في البداية يجب أن نعلم أنّ المفكّرين

ربما كانت النظرة الدّينية الدّارجة وفق المنطق القديم هي الأخرى بحاجة إلى إعادة تكوين وفق أسس موضوعية جديدة تجعل الإنسان قادرًا على أن يرى الغيبيات حقيقة يقرؤها في كتاب الكون المنظور كما يقرؤها في كتاب الله المسطور



العظام والفلاسفة الكبار في كلّ علم قليلون جدّا ونادرون جدا ندرة الزئبق الأحمر. أمّا العمّال المجتهدون وغير المجتهدين فهم كثيرون جدا وهؤلاء لا يؤخذ منهم إجابات نافعة في الغالب عن الأسئلة الكبرى. حتى إنّ سيلان المصطلحات الحادث في العلوم الطبيعيّة من عمّال العلوم تبقى أسيرة ذاتها وتتناول الأفكار الظّاهرة فقط ولا تلبث إلاّ أن تعدّل لتبقى فترة أطول أو تزول وتنسى من ذاكرة الزمن وهم بذلك يقتربون من إنتاج أنماط استهلاكيّة مقيتة لفكرة العلم الكامنة في إنتاج إجابة عن سؤال كليّ أو جزئيّ. أمّا تلك المصطلحات التي ينحتها فلاسفة العلم فتُرتبَط بأصول شبه كلية وتؤسس لإنتاج القيمة الحقيقية من العلم.

اتجه بعض العلماء لتأسيس قاعدة موضوعة تفيد أنّ «المعرفة التّفصيلية للجوهر تتطلّب الإحاطة بحركته الظّاهرة ومن هذه الفرضيّة تأسّست المناهج العلميّة الحديثة في العلوم الطبيعيّة. بينما ذهب بعض العلماء القدامى إلى القول بإمكانيّة الهبوط إلى الجوهر مباشرة، دونما حاجة إلى التّعامل مع الظاهر.



وللإجابة على الأسئلة الكبرى تبيّن أنّ بعض العلماء اتجهوا لتأسيس قاعدة موضوعة تفيد أنّ «المعرفة التّفصيلية للجوهر تتطلّب الإحاطة بحركته الظّاهرة ومن هذه الفرضيّة تأسّست المناهج العلميّة الحديثة في العلوم الطبيعيّة. بينما ذهب بعض العلماء القدامى إلى القول بإمكانيّة الهبوط إلى الجوهر مباشرة، دونما حاجة إلى التّعامل مع الظاهر. ولا يكون ذلك من وجهة نظرنا إلاّ عن طريق الإلهام الذي لا يمكن تفسيره وفق الحقائق العلميّة وهو موجود ولكن لا يستطيع أحد برهنته، من ذلك مثلا نرى أنّ معظم العلوم مبنية على مسلّمات، من أين أتت إلى ذهن من قال بها وكيف تقبّلها الآخرون؟. وأيضا كيف اكتشف العلماء الكبار في أزمنة قياسيّة حقائق علميّة مذهلة وعجزوا عن أصغر من ذلك بكثير في أزمنة طويلة. ومهما طال الجدال بين الفريقين، نرى أنّ كلّ فريق يمسك بطرف للحقيقة التي لا يعلم عدد أبعادها أحد.

فعلى سبيل المثال، اعتقد الكثير من المفكّرين القدماء أنّ المتّصَل لا يمكن أن يتركب من المنقسم، كالخطّ لا يمكن أن يتركَّب من نقاط، لأنّ النقاط لا تملك أجزاء أو أطرافاً تتّصل بواسطتها بغيرها فتشكّل معها المتّصَل. أدى التعامل مع الظاهر إلى عكس هذه الفكرة تماما: نعلم اليوم أن الخطّ، إذا امتدَّ، صار متّصلاً مكوَّناً من الأعداد الحقيقية، أي تلك الأعداد الموضوعة قيد التّعامل، وأن متّصَل الأعداد الحقيقية يُبنى بعملية تجزئة غير منتهية، وأن لبناته هي عناصر منقسمة، وأن الاتصال يتحقّق بسبب الانقسام غير المنتهي. فبين كلّ عددين حقيقيين يوجد عدد حقيقي ثالث مهما كان الفرق بين هذين العددين ضئيلاً. أفاد العلم أيضا من الفكرة القديمة التي أجازت الهبوط المباشر إلى الباطن عبر درب غير منتهٍ، فصاغ على خلفيّتها مفهوم اللانهاية (الإلهام العلمي المستمر

المفكّرون العظام والفلاسفة الكبار في كلّ علم قليلون جدّا ونادرون جدا ندرة الزئبق الأحمر. أمّا العمّال المجتهدون وغير المجتهدين فهم كثيرون جدا وهؤلاء لا يؤخذ منهم إجابات نافعة في الغالب عن الأسئلة الكبرى

المشابه للوحي الشرعي المنقطع ففي الحديث الشريف «ما بقي من الوحي إلا الرؤيا الصالحة»)؛ بينما استخدم، في وقت واحد، العالم الظاهري الذي يعكس التجزئة في كل مشاهده المحلية، فاستمد منه تعريفاً صلباً للتجزئة؛ ثم ربط هاتين الفكرتين بشكل سحري ليعيد بناء المتَّصَل لتمثل امتداد حقل الأعداد الحقيقية من طرفيه اللانهائيين والمعبرين عن جهل الإنسان بأكبر عدد وجهل الإنسان بأصغر عدد وكأنّه بذلك يضع حدودا غير ملموسة على حدود علم الإنسان لن يتعدّاها تماما مثلما يضع مبدأ الشّك لهيزنبرج حدودا على المعرفة التامّة للثنائيات المترافقة فيزيائيّا مثل الطّاقة والزّمن أو مثل المكان وكميّة التّحرك ومثلما يضع أفق حدث الثّقب الأسود حدودا على انتقال المعلومات من وإلى الثقب الأسود. أيضا وجود الصّفر في خطّ الأعداد كعدد ممثلا للعدم المطلق هو حدّا آخر على المعرفة الرياضية، فكيف يكون للعدم المطلق عدد ممثل له وهو لا يأتي إلاّ من القسمة على اللاّنهائيات وقبله وفي جواره يأتي العدم النّسبي من القسمة على الكميّات المتناهية في الكبر، أمّا العدم المطلق فيأتي من القسمة على كميات مجهولة للقدر بل معبّرة عن جهل الإنسان بأكبر وبأصغر عدد، يأتي الصّفر ليعبر عن جهل الإنسان بالعدم المطلق وبحدّ جديد على المعرفة البشرية.

الملحد لا يصدّق إلا ما تراه الأعين وتلمسه الأيدي، أي ما يصدم حواسّه الخمس، ويظنّ أنّه العين الوحيدة التي ترى. مع أنّ الموجات الكهرومغناطيسيّة موجودة ومعظمها غير مرئي للإنسان بينما بعض الحيوانات تراها. كما يقول الوجوديّون الشّجرة التي تسقط في الغابة، ليست موجودة، ولم تسقط، ما لم يرها مشاهد. وكان يرد عليهم أن المشاهد، أو المبصر، موجود في كل الأحوال، وهو الله. يقول روبن هيرش:«إذا كان أفلاطون، وديكارت، وسبينوزا حاولوا استعمال الحقائق الرّياضية المفترضة للدّفاع عن الدّين، فإن بيركلي استخدم «عيوب»الرياضيات في الدفاع عن الدين». وقد صبّ «بيركلي» جام غضبه على التفاضل والتكامل مثلا الذي ابتكره كل من «نيوتن» و«لايبنتز» على انفراد. كانت الرياضيات قبل ابتكار التّفاضل والتكامل، علماً غير معرّض للشّك. كان كل شيء منطقياً، لا جدال فيه، مثل الهندسة الإقليديّة. ثم جاءت الفيزياء وهزّت أفكار النّاس بعنف عند إدخال فكرة الكميّات المتناهية الصغر، والكميّات المتناهية الكبر، في الرّياضيات. يقول فردريك أنجلز في كتابه أنتي دوهرنغ [3]: « مع إدخال فكرة الكميات المتناهية الصغر والكميات المتناهية الكبر، سقطت الرياضيات، المعروفة بنظامها الصارم، من عليائها... لقد مضى زمن الصحة المطلقة والبراهين التي لا تُدحض في الرياضيات، وجاء زمن الشك، وبلغنا مرحلة أصبح فيها معظم الناس يقومون بحسابات التفاضل والتكامل لا لأنهم يفهمون ما يفعلون، بل انطلاقاً من الإيحاء وحده، ذلك أن حساباتهم كانت صحيحة حتى الآن».



كانت الرياضيات قبل ابتكار التّفاضل والتكامل، علماً غير معرَض للشّك. كان كل شيء منطقياً، لا جدال فيه، مثل الهندسة الإقليديّة. ثم جاءت الفيزياء وهزّت أفكار النّاس بعنف عند إدخال فكرة الكميّات المتناهية الصغر، والكميّات المتناهية الكبر، في الرّياضيات.

الهوامش

[1] كريك، فرانسيس ، طبيعة الحياة، موسوعة عالم المعرفة الكويت، 1989.

[2] ديفز، بول ، عالم الصدفة، ترجمة فؤاد الكاظمي، بغداد، 1987.

[3] انجلز ، فريدريك، انتي دوهرنغ ثورة الهرأوجين دوهرنغ في العلوم، ترجمة د. فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، (1965).

- أستاذ ديناميكا الفضاء بكلية العلوم - جامعة القاهرة

أستاذ الرياضيات التطبيقية بكلية العلوم - جامعة طيبة - المدينة المنورة

f.a.abdelsalam@gmail.com

خاطرة

خاطرة لتونس من فلسطين

خالد بنات

بُعيد إنفجار الصَباح ذاك الألم
تجود برموش حرائرها بكور طلّة
تدمع حيرة الأيام بذوبان الأمل،
هَمْكة زمان النذل تخجل اللماذا
وشهادة جبال الخضراء توشم أحمرا
أُمتشق نسيم الطّل من دموع العلقم
مَوج نَوفَل على شَّط «منزلَ تميم النابلي»
تصرخ من أمامي مرآة البحر تهشمها الفاجعة....
و تلقي الشمس رداء الحلك الحزين فوق التلال
تغطي خجلات النتن على خلوع الرحمة
و الثكالى تناجي الأرواح المسافرة للبرزخ
تستنكر جنادل احمرار الشعانبي بالتكفير
تتضرع لحوريات الجنة شكواهم للّه
و أجمع خواطري المُترجلة.....
بَين أهداب الحقيقة و الخَيال حصرة
دون نشوة تستدرجني لألخص شَغفي
إليك جمالية الحياة التونسية.....
أبحث رحم دائرة الإحْتضان مجددا
و لحظات إندفاع الغَداة إلى العُلى
تعانق دفءَ أفكاري نُقى تَيم قرب مشهد سَيدة ...
تُلاعب طفلتِها المبللة البراءة رب يتربصها وغد
ومحوصَلات ملقاة لا توه و لا تقيلها رمال القدر
تنتظر رمق البحر و توقا للعودة
فتناديني دياري و فلسطينيتي متسائلا
أحوريات فلسطين عديمة الجمال؟
أم الشهادة بالعجز من مواراة عوراتنا؟
أم مصير فلسطين بين أمواج دأماء قصرا
العودة أو اللاعودة.... وتونس أيضا بلدي
و متأبِطة غصن تين تغريه بحبها نخلة
حنان ضيافتها تزهر طلقانِها
و رومنسية تلونها همسات جنون الطبيعة
عشق الحَياة عبر شارِعَ النخيلِ
و دفء الهُجَيرة يعرش انفجار الرهبة
و لا «تتبرنز» أجساد رواد نقاوة النسم
لا البجع على تجاعيده متبخترا
و لا التَمرِّي عاد يمنحه إعجاباً.....
لا يُداعِبُ نَفسَهُ اختيالا....
و لا يصدي لقَهْقهاتِ خروج الذات
تَحْملها نسمات البحر المسجمة...
مدا و جزر لأعماق المرجان
تلحن مزج الوله بالحقيقة و الخيال
أجساد العُشاق لم تستدعى بين هنة و أخرى
و صفحات الماء لا تسترخي مع الهيام
بنشوة السعادة تلاشت كصغار السَمْكات
نجِدها على أهْدابِ حياةٍ صنعنا
انها ضحكة العصر.... باهضة الثمن
لك اللّه يا تونس....

—

شاعر فلسطيني من ألمانيا
kudus@drkhalidbanat.com





اني راحل يا طيري

إن حمام البيت مهما هاجر ... يعود !!
وكأني حمامة بيت
أغادرك ... وأعود
أعود ...... فأغادرك
وكأني لا أغادرك ..إلا لكي أعود
ولا أعود ... إلا لكي أغادرك
وكأني حمامة بيت
أفرد للغياب أجنحتي
أرتفع عنك عالياً عالياً
أراقبهم من أعلى
أراهم ... يعشقون
أراهم ... يعبثون
أراهم ...يغدرون
فأتحسس النقاء في قلبي مبتسما
وتتعب من التحليق أجنحتي
فأحن إلى الأرض ..إليك
و... أعود
أعود
مخلفا ورائي بساتين القمح
وغابات الفرح
لألتقط (فتات) الخبز من كفيك
فكفيك كانت لي دفء.. ووطن

لكن ....
حتى الفتات في كفيك
لم يكن.....لي وحدي
ففي كل مرة أعود
كنت أراك محاطا بحمامات ملونة
زخرفن ريشهن لك بأصباغ زائلة
يتراقصن حولك بالتواء الأفاعي
فلا أزاحمهن إليك
وأرفرف عليك بأجنحتي من أعلى
أمنحك الأمان ..في لحظات الخوف
وتمنحني الخوف.. في لحظات الأمان
وفي كل مرة أعود
كنت تقتطع من أجنحتي.. ريشة ملونة
تضعها على رأسك
فتحولت أنت مع مرور الوقت وتكرار العودة
إلى طاووس مغرور
وتحولت أنا إلى حمامة دامية الجناح
ناقصة الريش
فأعاود الطيران بأجنحة مصابة
أفرد أجنحتي بصعوبة
أنظر إليك باكٍ من عليائي
أراك تبتسم وأنت تلمحني أبتعد



فتكسر ابتسامتك... ما تبقى من أجنحتي !!
و... تكسرني !
وأرفرف مبتعدا
على أن لا أعود
فأطير ..وأطير ..وأطير
أتجول في البساتين والحقول
تكتمل أجنحتي مرة أخرى
تنمو الريشات المغدور بها من جديد
فيشدني إلى عالمك حنين
أعود ..كي تُكمل تاج رأسك من ريشاتي
أعود...كي أهديك أحدث (ريش) أجنحتي
أعود إليك
كـ (حمامة) بيتك
فلا أجد على الأرض (بيتا) في استقبالي
كي أرفرف في أركانه معك
فأختبئ بجناحي خجلاً
حين أتذكر أنه لم يجمعني بك يوماً على الأرض
سوى.. بيت الدفاتر
ومدن الأوراق
واحتراق...باحتراق...باحتراق !
فأغادرك من جديد
كـ (حمامة) بيت جريحة

لكن ..حمامة (بيتك) هذه المرة
لن تعود
فرصاصة طائشة من بندقية (الواقع)
أصابت جناحيها
فأسقطتها بعيداً
عن (أرضـــك)
و (وطنـــك)
و (قلبـــك)
و (بيتـــك)
إني راحل يا طيري
فقد أنهكت العودة كبريائي
وتعبت من التحليق فوقك أجنحتي
إني راحل يا طيري
فقد سُفكت على أبوابك أيامي
وضاعت في صحرائك قافلتي
إني راحل يا طيري
فقد خان نصيبك نصيبي
وأكلت وحوش واقعك
زاد رحلتي

الرئيس محمد نجيب
1318 - 1404 هجرية [1901 - 1984 م]

« بسم الله الرحمن الرحيم، السادة أعضاء مجلس قيادة الثورة .. بعد تقديم وافر الاحترام، يحزنني أن أعلن لأسباب لا يمكنني أن أذكرها الآن أنني لا يمكن أن أتحمل من الآن مسؤوليتي في الحكم بالصورة المناسبة التي ترتضيها المصالح القومية. ولذلك فإني أطلب قبول استقالتي من المهام التي أشغلها، وأني إذ أشكركم علي تعاونكم معي أسأل الله القدير أن يوفقنا إلي خدمه بلدنا بروح التعاون والأخوة.» بهذه الكلمات خطّ ضيف هذا الركن نصّ استقالته من مهامه كأول رئيس للجمهوريّة المصريّة تحت ضغط مجلس قيادة الثورة بزعامة جمال عبد الناصر ليتمّ وضعه تحت الإقامة الجبرية مع أسرته بعيداً عن الحياة السياسية ومنع أي زيارات له، حتى عام 1971 حينما قرر الرئيس السادات إنهاء الإقامة الجبرية المفروضة عليه، لكنه ظل ممنوعاً من الظهور الاعلامي حتى وفاته. إنّه اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد ثورة 1952 المصرية التي انتهت بعزل الملك فاروق ورحيله عن مصر.

ولد محمد نجيب في التاسع عشر من شهر فيفري 1901 بساقية أبو العلا بالخرطوم، لأب مصري يشتغل ضابطا في الجيش المصري وأم سودانية المنشأ مصرية الأصل. عاش محمد سنوات طفولته وصباه في بيت متواضع بالقرب من الجامع العتيق في الخرطوم. تلقى محمد نجيب تعليمه الأول بكتّاب «وادي مدني» عام 1905 حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة. وبعد أن أتم تعليمه الابتدائي والثانوي بالسودان التحق بكلية «غردون» ثم بالمدرسة الحربية المصرية وتخرج منها عام 1918، ليعود إلى السودان ضابطا ويلتحق بالكتيبة المصرية هناك. حصل على شهادة الباكلوريا عام 1923 ثم على إجازة الحقوق في عام 1927 وكان أول ضابط في الجيش المصري يحصل عليها. ثم تحصّل على شهادة الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام 1929 ثم شهادة الدراسات العليا في القانون الخاص عام 1931. وكان محمد نجيب شغوفا بالعلم ويجيد اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والعبرية.

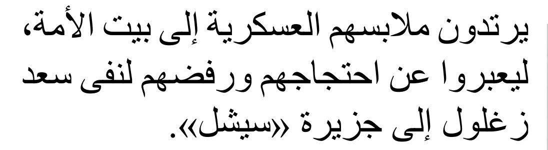


تشبّع «محمد نجيب» بروح التمرد والثورة على الأوضاع القائمة منذ ان كان ضابطا صغيرا برتبة ملازم ثان بالكتيبة 16 مشاه بالجيش المصرى بالسودان وكانت الروح الوطنية عنده مقدمة على القواعد العسكرية.



خدم في الجيش المصري وارتقى في سلمّ الرتب العسكرية إلى أن بلغ رتبة لواء أركان حرب في عام 1950. تشبّع «محمد نجيب» بروح التمرد والثورة على الأوضاع القائمة منذ ان كان ضابطا صغيرا برتبة ملازم ثان بالكتيبة 16 مشاه بالجيش المصرى بالسودان وكانت الروح الوطنية عنده مقدمة على القواعد العسكرية، ولذلك لم يخف إعلان تأييده لسعد زغلول باشا، عندما ذهب مع مجموعة من الضباط الصّغار وهم

خطّ ضيف هذا الركن نصّ استقالته من مهامه كأول رئيس للجمهوريّة المصريّة تحت ضغط مجلس قيادة الثورة بزعامة جمال عبد الناصر ليتمّ وضعه تحت الإقامة الجبرية مع أسرته بعيداً عن الحياة السياسية ومنع أي زيارات له، حتى عام 1971 حينما قرر الرئيس السادات إنهاء الإقامة الجبرية المفروضة عليه.



يرتدون ملابسهم العسكرية إلى بيت الأمة، ليعبروا عن احتجاجهم ورفضهم لنفي سعد زغلول إلى جزيرة «سيشل».

اشترك في حرب فلسطين وخاض خلالها 21 معركة وجرح ثلاث مرات كان أخرها في معركة «التبة» في دير البلح في 23 ديسمبر 1948.فمنح نجمة فؤاد العسكرية الأولى تقديراً لشجاعته، وعقب الحرب عين مديرا لمدرسة الضبّاط، وتعرف على تنظيم الضبّاط الأحرار من خلال عبد الحكيم عامر وانخرط فيه ليقود عبره ثورة جويلية (يوليو) 1952.

كانت ثورة «يوليو» في بدايتها مجرد حركة عسكرية تصحيحية ، لكنها لاقت قبول الشعب المصري واستقبلتها الجماهير بحفاوة بالغة وأطلقت عليها «ثورة».. فقد كان قائدها رجل شهد له الكل بالشجاعة وكان محمد نجيب هو سر نجاح الثورة.. فقد كان برتبة لواء..أما باقي الضباط الأحرار، فلم يتجاوز أكبرهم سناً رتبة «بكباشي»...وبفضل نجيب تحولت الحركة إلى ثورة، وانتهت بتنازل الملك فاروق عن العرش ومغادرة البلاد، وفي عام 1953 أصبح نجيب أول رئيس للبلاد بعد إنهاء الملكية وإعلان الجمهورية.

أراد «محمد نجيب» من خلال حركته أن يطهّر الجيش ونظام الحكم من المسؤولين الفاسدين، ثم إقامة حكومة مدنية برلمانية جديدة وإعادة الجيش لثكناته، فأعلن مبادىء الثورة الستة، وحدد الملكية الزراعية، ولكنه اضطر لتأجيل تلك الخطوة مرارا تحت ضغوط زملائه في مجلس قيادة الثورة الذين كانت لهم طموحات أخرى تختلف عن طموحاته، حتى بات رفضه لهذا الوضع واضحا وعلنيا، فقاموا بعزله شيئا فشيئا من دائرة اتخاذ القرار، وحاولوا إقالته مرة فباءت المحاولة بالفشل لغضب الشعب، ثم فرضت عليه الاستقالة ليتم اعتقاله وفرض الإقامة الجبرية عليه وعلى أسرته.

أراد «محمد نجيب» من خلال حركته أن يطهّر الجيش ونظام الحكم من المسؤولين الفاسدين، ثم إقامة حكومة مدنية برلمانية جديدة وإعادة الجيش لثكناته، فأعلن مبادىء الثورة الستة، وحدد الملكية الزراعية، ولكنه اضطر لتأجيل تلك الخطوة مرارا تحت ضغوط زملائه في مجلس قيادة الثورة الذين فرضوا عليه الاستقالة ووضعه تحت الإقامة الجبرية.



بالرغم من الدور السياسي والتاريخي البارز لمحمد نجيب، إلا أنه بعد الإطاحة به من الرئاسة شُطب اسمه من الوثائق وكافة السجلات والكتب ومنع ظهوره أو ظهور اسمه تماما طوال ثلاثين عاما حتى اعتقد الكثير من المصريين أنه قد توفي، وكان يذكر في الوثائق والكتب أن عبد الناصر هو أول رئيس لمصر، واستمر هذا الأمر حتى أواخر الثمانينيات عندما عاد اسمه للظهور من جديد وأعيدت الأوسمة لأسرته، وأطلق اسمه على بعض المنشآت والشوارع.

رحل محمد نجيب في هدوء عن عمر يناهز 83 عاما في مستشفى المعادي العسكري بالقاهرة بتاريخ 1 ذي الحجة 1404 هـ الموافق لـ 28 أوت (أغسطس) 1984 م، بعد أن ترك للأجيال العربية كتابا بعنوان «كنت رئيسا لمصر» حمل في طيّاته مذكراته التي خلت من أي اتهام لأي ممن عزلوه .



بالرغم من الدور السياسي والتاريخي البارز لمحمد نجيب، إلا أنه بعد الإطاحة به من الرئاسة شُطب اسمه من الوثائق وكافة السجلات والكتب ومنع ظهوره أو ظهور اسمه تماما طوال ثلاثين عاما حتى اعتقد الكثير من المصريين أنه قد توفي.

طبول الحرب

تُدقّ طبول الحرب على ليبيا في وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وتوجّهاتها والحرب أوّلها الكلام ولعلّ هذه الطّبول لا تدقّ من فراغ. فهل هي الحرب أم هي الخديعة أم كلاهما معا؟

«داعش... داعش» هذا هو العنوان وهذا هو المبرّر وهذه الحرب سوف تكون في معظمها أو كلّها قصفا على المدن والقرى التي هي تحت سيطرة هذا التّنظيم المشبوه أو هي حرب استباقيّة على ما ينوي التّنظيم السّيطرة عليه.

كيف دخل هذا التّنظيم وكيف تمدّد وبأيّ غاية ؟ وماذا كان من أمره في سوريا وفي العراق من قبل؟ وما الذي يريده من ليبيا ومن اللّيبيين وهو سيد العارفين بالكارثة التي جلبها على البلاد التي دخلها من قبل؟ كلّ هذه الأسئلة لن تجد لها جوابا حتّى بعد أن تضع الحرب أوزارها في أمد لا يعلمه إلاّ الله وحده.



(2)

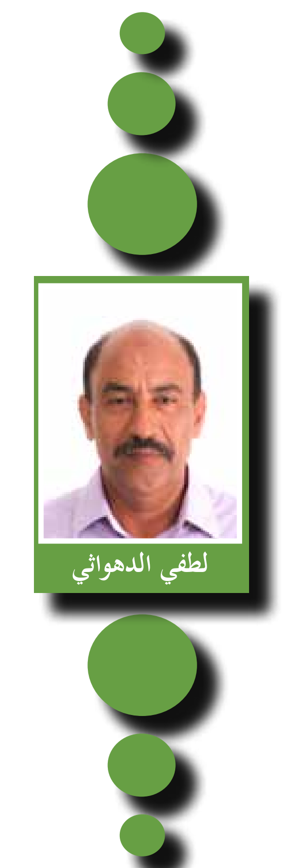
بثّت إحدى وسائل الإعلام شريطا قصيرا تضمّن صورا من مدينتي «برلين» و«حمص» بعد تعرّض كليهما لقصف جويّ وبرّي لم يبق ولم يذر. أمّا مدينة «برلين» فقد كان خرابها بعد الحرب العالميّة الثانية وأمّا مدينة «حمص» فقد خرّبها القصف الذي وقع عليها إثر الثّورة على النّظام وهو قصف بدأه بشّار ولم ينته بعد رغم قوّة الرّوس الذين يتولّوا الآن استكمال المهمّة الدّنيئة.

لا يستطيع أحد شاهد هذا التّقرير أن يتمالك نفسه من الحزن على كلاّ المدينتين لا فرق، غير أنّ ما أصاب «برلين» لا أثر له اليوم، أمّا ما أصاب «حمص» فقد لا يتمّ إصلاحه ولو بعد عقود .

ليس للخراب الذي حلّ بسوريا ومدنها ما يمكن أن يوصف به وقد فاق كلّ خيال، مأساة ما بعدها مأساة وكأنّك تشاهد مدينة «برلين» بعد أن دكّتها القوّات المهاجمة بأطنان من القنابل.

(3)

الحرب لا تبقي ولا تذر، والخراب لا يطال العمارة وحدها. يكفي المتابع منّا أن يرى جحافل النّازحين الذين تركوا دورهم وأعمالهم وما يملكون هربا من مدن لم يعد



لا يستطيع أحد شاهد هذا التّقرير أن يتمالك نفسه من الحزن على كلاّ المدينتين لا فرق، غير أنّ ما أصاب «برلين» لا أثر له اليوم، أمّا ما أصاب «حمص» فقد لا يتمّ إصلاحه ولو بعد عقود.





البقاء فيها يعني شيئا غير الموت. تأتى الطّائرات لتلقي بما تحمله من قنابل، فلا تكاد تغادر المكان حتّى تبدأ معاناة الذين ألقت عليهم ما ألقت. جثث تحترق وأخرى تحت الأنقاض وأناس من مختلف الأعمار، رجال ونساء، يفرّون فى كلّ الاتّجاهات بلا هادٍ. بكاء وعويل وأنين وحزن يلفّ النّاس ويزيدهم شعورا بالعجز، وقتلة مجرمون لا يشبعون من القتل ومن الدماء.

لا يعدم القتلة مبرّرات يقنعون بها أنفسهم أو يجعلونها أعذارا يبرّرون بها أفعالهم الدّنيئة. وإذا كانت «داعش» تقتل باسم ما تدّعيه دينا وفى سبيل إقامة شرع هي أبعد ما تكون عنه وعن مقاصده الكريمة وأوّلها حفظ النّفس، وإذا كان النّظام السّوري مثلا يقتل تحت مبرّر مقاومة الإرهاب والدفاع عن سيادة سوريا أمام مجموعات غازيّة قدمت من وراء الحدود، وإذا كان كلّ هذا القتل وجد مبرّرا فلن يعدم الذّين يدقّون طبول الحرب فى ليبيا المبرّر تلو الآخر لكي تبدأ دورة القتل المأساوي فى هذا البلد، وهل استطاع أحد أن يوقف الجيش الرّوسي أو غيره من الميليشيات أو طلب منها تبريرا ؟

ثارت الشَّعــوب أملا فى غـد أفضل بعد أن فقـــدت الدّيكتا تورية كلّ أوراقهـــا وصنعت من الخراب ما لم يعد بإمكان النّاس تحمّلــه، فهل أخطـــأت هذه الشّعوب حين ثارت؟ أم هل أساءت اختيار اللّحظـــة المناسبة للثّورة؟



(4)

ثارت الشّعوب أملا فى غد أفضل بعد أن فقدت الدّيكتاتورية كلّ أوراقها وصنعت من الخراب ما لم يعد بإمكان النّاس تحمّله، فهل أخطأت هذه الشّعوب حين ثارت؟ أم هل أساءت اختيار اللّحظة المناسبة للثّورة؟ وهل كان بالإمكان حماية التّجارب النّاشئة من رحم الثّورات أم أنّ قوة الثّورة المضادّة أشدّ فتكا وأكثر قوّة من أيّ ثورة ناشئة ليس لها من ركن شديد سوى الله وأحلام الشّباب؟

لقد كانت الدّيكتاتورية ومن كان عليها من حكّام شرّا كلّها ولم تخلف من وراءها إلّا شرّا ولكن هل يمكن مقارنة شرورها مع شرور ما قد يصيب دولنا أو أصاب بعضها من ويلات الحرب والدمّار؟ . لقد تغنّينا طويلا بالعبقريّة التونسيّة والنّموذج التّونسي، فهل آن الأوان لندرك بأنّ اللّذين قالوا لا للثّورة فى سوريا وفى مصر من بعدها هم من يميل طربا معنا كلّما تحدّثنا عن المعجزة التّونسية؟ فهل يكون الاستثمار فى تونس والرّيع فى ليبيا؟ وهل يكون ما فعله أصدقاؤنا معنا ليس أكثر من إعداد لمهمّة آن الآن أوانها وما تلبث جحافل النّازحين أن تغزونا غزوا؟

ـ مستشار في الخدمة الإجتماعيّة
lotfidahwathi2@gmail.com

فهل يكون الاستثمار فى تونس والرّيع فى ليبيا؟ وهل يكون ما فعله أصدقاؤنا معنا ليس أكثر من إعداد لمهمّة آن الآن أوانها وما تلبث جحافل النّازحين أن تغزونا غزوا ؟




فرقة الشمس للموسيقى

انهض

خيوط الشمس ... دايمة المد
والحصّادة ... ما تتحد بعد
يسلم يما ... رحمك اللي يمد
بالرجّالة ... زنودي ما تترد

سدّي يما ... بيديك الملاح
نجمة حمرة ... وهليل الذباح
أنا وليدك ...تحتهم نرتاح
هم الخيمة ... واسعة والمراح

خيوط الشمس ... دايمة المد
والحصّادة ... ما تتحد بعد
يسلم يما ... رحمك اللي يمد
بالرجّالة ... زنودي ما تترد

سدّي يما ... رصي عالخلالَ
ما تخلي ... ثلة للبدالة

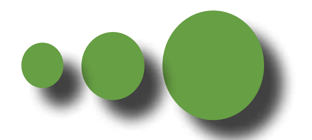
ياما ركبوا ... الشمس والعدالة
شرقي وغربي.. ناصين ذلاله

خيوط الشمس ... دايمة المد
والحصّادة ... ما تتحد بعد
يسلم يما ... رحمك اللي يمد
بالرجّالة ... زنودي ما تترد

نادي يما لصبايا الكل
يغزلولك خيوط من غزل
في المسيرة إيد واحدة الكل
يخف الكيل يتوزع الحمل

خيوط الشمس ... دايمة المد
والحصّادة ... ما تتحد بعد
يسلم يما ... رحمك اللي يمد
بالرجّالة ... زنودي ما تترد

لسماع الأغنية على العنوان التالي:
https://www.youtube.com/watch?v=a73Cm77w788





كش مات

الحمد لله... أخيرا الليبية اتفقوا باش يعملو حكومة وحدة وطنية

تقصد اللي صار في الصخيرات؟

إي نعم ... لأول مرة الأمم المتحدة تعمل حاجة فيها منفعة للعرب

تونجمو نطمانو على الثورة في ليبيا وفي تونس

ما تفرحش برشا يا علولو زعمة هالحكومة تنجم تسيطر على الجماعات المسلحة؟

آش بيه على كيفهم..؟؟؟!

كان ما فهموش بالسياسة... القوة تجيبهم ... كان لازم تستنجد بالامم المتحدة ومجلس الأمن ...

معناها ... ضوء أخضر للحلف الاورو أمريكي باش يتدخل.. واذا الغارات بدات ... كش مات...

آش معناها ؟؟؟؟

معناها ... "الثورة" امسح مات...



التعريف بالمجلّة

مجلّة الإصلاح هي محاولة «الكترونية» للتأسيس لدوريات سياسيّة فكرية ذات منحى إصلاحي.نريد من خلالها المشاركة في بلورة فكرة وسطيّة تتفاعل مع محيطها وتقترح عليه الحلول لمختلف مشاكله الفكرية والسياسية والاجتماعية. نريدها حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحريّة والمساواة. نريدها منبرا للتحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجي ولا تعصّب لفئة دون أخرى. نحلم أن نواصل ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم. ننطلق من الواقع الذي نعيش فيه، متمسكين بهويتنا العربية الاسلامية ومنفتحين على العصر وعلى كل فكرة أو مشروع يؤدّي إلى الإصلاح.

للإشتراك في المجلّة

الرجاء ممن يرغب في الحصول على نسخة من المجلّة إرسال عنوانه الالكتروني على العنوان الالكتروني للمجلّة أو عنوان مديرها.

للمشاركة:

* نرجو من الأخوة والأصدقـاء الذين يرون في أنفسهم القدرة على الكتابة (المقال ـ الشعر ـ القصّة) أو لرسم الكاريكاتور ويريدون المساهمة في المجلّة «مجّانا» أن يرسلوا إنتاجهم علـى نفس العنـوان مع صورة رقمية لشخصه.
* للمجلة كامل الصلاحية في نشر أو رفض المشاركات.
* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين أو فيها شتم أو معلومات من دون ذكر المصدر.
* يتحمّل الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباته ونشرها لا يعني تبنّيها من طرف المجلّة.

للاتصال بنا:

مدير المجلّـة : فيصل العش faycalelleuch@gmail.com
العنوان الإلكتروني للمجلّة: Alislah.mag@gmail.com
الموقع الإلكتروني للمجلّة: www.alislahmag.com
صفحة الفايـــــس بوك : alislah.mag

موعدنا يتجدّد
بإذن الله مع العدد
103
يوم 24 جمادى الأولى 1437
04 مارس 2016